

مختصر كتاب

ظاهرة الأزمة

ما بعد الطبيعية



تحرير: ضياء الدين سردار

مختصر كتاب

ظاهرة الأزمة ما بعد الطبيعية

مختصر كتاب

ظاهرة الأزمة ما بعد الطبيعية

تحرير: ضياء الدين سردار

اختصار: سكوت جوردان

ترجمة: تيسير أبو عودة

المعهد العالمي للفكر الإسلامي

مختصر كتاب: ظاهرة الأزمنة ما بعد الطبيعية
Mukhtaṣar Kitāb: Zāhirat al-azminah mā ba'da al-ṭabʿīyah

ترجمة/ Translation of
Book-in-Brief: The Postnormal Times Reader

تحرير: ضياء الدين سردار
Edited by: Ziauddin Sardar

اختصار: سكوت جوردان
Abridged by: Scott Jordan

ترجمة: تيسير أبو عودة
Translated by: Tayseer Abu Odeh

موضوع الكتاب:

- | | |
|----------------------------|---------------------|
| ١- الأزمنة ما بعد الطبيعية | ٢- الغرابة العالمية |
| ٣- اللايقين | ٤- الإتحاد الأوروبي |
| ٥- المستقبل الإسلامي | ٦- الشرق والغرب |

ردمك (ISBN): ٥-٣٥٤-٨٩١٩٣-٨-٩٧٩ [النسخة الورقية]

ردمك (ISBN): ٢-٣٥٥-٨٩١٩٣-٨-٩٧٩ [النسخة الإلكترونية]

المملكة الأردنية الهاشمية

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية: (٢٠٢٥/١١/٦٨٤٤)

جميع الحقوق محفوظة للمعهد العالمي للفكر الإسلامي. ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو جزء منه، أو نقله بأي شكل أو واسطة من وسائط نقل المعلومات. بما في ذلك النسخ أو التسجيل أو التخزين والاسترجاع دون إذن خطي مسبق من المعهد.

مكتب الأردن - عمان

ص. ب: ٩٤٨٩ الرمز البريدي ١١١٩١

هاتف: ٤٦١١٤٢١ ٦ ٩٦٢+

البريد الإلكتروني: iiitjordan@iiit.org

المعهد العالمي للفكر الإسلامي

The International Institute of Islamic Thought (IIIT)

P.O.Box 669 Herndon, VA 20172, USA

Tel: (1-703) 471 1133

www.iiit.org | iiit@iiit.org



المحتويات

٩	كلمة المعهد العالمي للفكر الإسلامي
١١	المقدمة : ماذا يحدث على أرض الواقع ؟
١٣	الأصول ونظرية العلم للزمن ما بعد الطبيعي: سيلفيو فونتوفيتش وجيروم رافيتز
١٩	في رحاب الأزمنة ما بعد الطبيعية: ضياء الدين سردار
٢٥	مراجعات للأزمنة ما بعد الطبيعية: ضياء الدين سردار
٣١	المنهجيات والأسئلة: ثالث المستقبل للأزمنة ما بعد الطبيعية: ضياء الدين سردار وجون سويني
٤١	عدوى الاتصال: توضيح المستقبل ثلاثي الأبعاد: جون سويني
٤٩	الجهل، اللاتيقن، وسؤال "ماذا لو؟": جيروم رافيتز
٥٣	تلك هي أرض التين: اكتشاف المجهول الذي نجهل أننا نجهله: شيرين إيلاهي
٥٧	المكان والزمان: علامات تجريبية للأزمنة ما بعد الطبيعية: ضياء الدين سردار
٧١	الغربة العالمية: جون سويني
٧٥	ثنائية الشرق والغرب في الأزمنة ما بعد الطبيعية: ضياء الدين سردار
٧٩	تناقضات الاتحاد الأوروبي: جوردي سيرا
٨٥	أمريكا في زمن ما بعد الطبيعي: السينما: سكوت جوردان
٩١	اليابان في الزمن ما بعد الطبيعي : سكوت جوردان
٩٥	حيوات وأعمال (لعبة العروش الدينية): سكوت جوردان

- ١٠١ المستقبل الإسلامي في الأزمنة ما بعد الطبيعية: ضياء الدين سردار
- ١٠٩ العلم والعلماء في زمن الأزمنة ما بعد الطبيعية: جيروم رافيتز
- ١١٥ الإبداع والقيادة في الأزمنة ما بعد الطبيعية: ألفونسو مونتوري و غاربييل دونيلي
- ١٢١ المؤلفون المشاركون في الكتاب

كلمة المعهد العالمي للفكر الإسلامي

نحن نعيش في حقبة من التغير المتسارع، فقد خرجت علينا اتجاهات ومخرجات تكنولوجية وأزمات مستجدة بصورة متسارعة، والتي بدورها أحدثت تحولات جلية في البنية السياسية والاجتماعية التقليدية. وأصبح من الممكن قلب المثل الراسخة والمتجذرة تاريخياً على رأسها بين عشية وضحاها. وأصبح أيضاً من الممكن ظهور مفاهيم وأحداث غير مسبوقة وغير تقليدية، وكأنها خرجت من نُحوم المجهول، والتي استشرت وأصبحت طاغية على المشهد. لقد شهدت السنوات القليلة الماضية ظهور نزعات شعبية واليمين المتطرف في أوروبا، وأمريكا، وخروج بريطانيا من الاتحاد البريطاني، ناهيك عن الانقسامات، التي أصابت الاتحاد الأوروبي، والحروب السيبرانية التي رافقها ظهور الحرب الباردة مرة أخرى. وقد خرجت علينا الصين بوصفها القوة العظمى الجديدة، ناهيك عن كارثة الأوبئة مثل: إيبولا وفيروس زيكا، وكورونا إلخ.

فقد سبب التغير المناخي في ظهور أحداث مناخية متطرفة. لا ننسى أيضاً السيارات ذات القيادة الذاتية، والأخبار الكاذبة، والحقائق البديلة، وما بعد الحقيقة؛ إذ قوّضت التكنولوجيا وأفسدت كل شيء. ويبدو أن كل مناحي الحياة أصبحت في حالة مستمرة من التغير؛ فلا شيء يمكن الوثوق به، وكل ما يمكن اعتباره طبيعياً صار يتلاشى بعيداً أمام ناظرنا.

تحاول نظرية الزمن ما بعد الطبيعي أن تفسر غموض العالم المتغير بصورة متسارعة؛ إذ أصبح اللايقين الصبغة المهيمنة وصار الجهل مجتمعاً ذا أهمية. إن كتاب الأزمنة ما بعد الطبيعية هو أنطولوجيا من الكتابات النقدية الرائدة عن الطبيعة المتناقضة والمعقدة والفوضوية لهذه الحقبة التي نشهدها، وتتضمن هذه المقالات النقدية الأصول، والنظرية والمنهجيات للأزمة ما بعد الطبيعية؛ وتحاول سبر أغوار مجموعة من القضايا، بما فيها التغير المناخي، والحوكمة، والشرق الأوسط، والدين

والعلم من وجهة نظر الأزمنة ما بعد الطبيعية؛ وإذ تتصدى هذه المقالات النقدية لقضايا عالمية تأسيسية عن هذا الزمن المتحول، فإنّ هذا الكتاب يقترح سبيلاً لخوض غمار مستقبل البشرية المضطرب.

ماذا يحدث على أرض الواقع؟

مقدمة: ضياء الدين سردار

يقول لي جيتس في فيلم "وحش المال": "هل سبق وأن تنبّهت لما يحدث وراء الكواليس؟ إنك تجهل تماماً المكان الذي تحفظ فيه أموالك. ربما كان بإمكانك في الماضي التوجّه إلى البنك الذي تُودع أموالك فيه، ثم تفتح خزانة الودائع خاصتك، وتومئ إلى سبيكة من الذهب الخالص. كلّ هذا صار ضرباً من الماضي الغابر، إنّ أموالك التي تبذل في سبيل كسبها الغالي والنفيس، ليست إلا بضعة من فوتونات ضوئية من الطاقة يتم تسيرها عبر شبكة عملاقة من كابلات الألياف الضوئية، ولكن لماذا نضطر للقيام بكل هذا؟ لا شك أننا نقوم بكلّ هذا لغايات السرعة؛ ولأنّه من الأفضل لك دوماً تسريع كلّ معاملاتك المالية، ربما بصورة أسرع من الآخرين، ولكنك إذا أردت أسواقاً تسير وفق نمط تجاري أسرع، وفوائد أسرع، وكلّ شيء بصورة أسرع، فيسكون الثمن باهظاً بعض الأحيان.

ولو ألقينا نظرة عقلانية ودقيقة، نرى أنّ المشكلة لا تكمن في جوهر الأشياء؛ فلو كانت المسيرة على سبيل المجاز، في حال عطل تام، فإنّ العطب ينتشر في الزرع والضرع، وفي كل حذب وصبوب بصورة مخيفة ومستمرة. ففي سنة ٢٠١٦م، شهدنا سلسلةً غير مسبوقٍ من الحوادث؛ إذ أدّت الصراعات الدائمة والدامية في سوريا وليبيا والعراق لأزمة لاجئين لا نظير لها. ثم وقعت حوادث إطلاق النار الجماعية في فرنسا، وألمانيا، والولايات المتحدة. وأدّى انتشار الشعبوية اليسارية لظهور جيرمي كوربين بوصفه زعيماً لحزب العمال في بريطانيا، وبيرفي سنايدر زعيماً لظاهرة "النفور السياسي" في الولايات المتحدة. وأدّى صعود الشعبوية اليمينية في فرنسا، والنمسا، وهولندا وبولندا وهنغاريا لتصاعد قوة اليمين في أوروبا. وقد تفشّى فيروس زيكا، وتم رفض إبرام اتفاقية سلام تاريخي في كولومبيا، ولا ننسى التوتر المتنامي بين

الصين واليابان في بحر الصين الجنوبي. وخرج علينا الرئيس روديجو دوتيرتي، وهو يدافع عن ضرورة قتل الفقراء في خضم حربه الضروس على المخدرات في الفلبين. ومن جهة أخرى، صوّت الإنجليز في استفتاء شعبي لصالح خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي مما أحدث انقسامات كبرى في بنية الاتحاد الأوروبي. ومن ثم، خرج علينا دونالد ترامب بوصفه الرئيس الأمريكي الجديد، فالحال ليس على ما يرام في كل أنحاء العالم.

ماهية الواقع

ما زال عدد من الأكاديميين والمفكرين والكتّاب والمعلّقين يتصدّون لتفسير هذه الظاهرة ما يربو على عشرة سنوات. ولقد أجمع جُلّ هؤلاء أننا قد خسّرنا، وما زلنا نخسر إيماننا وثقتنا في كل ما نعدّه حتى اللحظة طبيعياً أو تقليدياً أو متمزناً.

وقد تلاشى كلّ ما يُعرف بالطبيعي، بغضّ النظر عن ماهية التعريف؛ فنحن نسير باتجاه ما أسميه "الأزمة ما بعد الطبيعية". يتتبع هذا الكتاب تطور نظرية الأزمة ما بعد الطبيعية، مستعرضاً أصول هذه النظرية في العلوم ما بعد الطبيعية، وبعض الأوراق والطروحات التأصيلية. وتهدف هذه الدراسة إلى عرض موجز لنظرية الأزمة ما بعد الطبيعية، وتبسيط الضوء على ماهية الأحداث الأخيرة، وكيف يمكن لنا فهم هذه النظرية من هذا المنظور.

وبلا شك، فإنّ هذا الكتاب يُجسّد ويخاطب قيماً ذات مشارب ثقافية ولغوية متعددة، وهي الأداة الأساسية لخوض غمار كلّ هذه الفوضى، التي تعترض طريق المستقبل. وما زال خطاب الأزمة ما بعد الطبيعية عملاً قيد الإنشاء. وبناء عليه، فإنّ هذا السّفر سيكون قيد التغيّر والتنقيح من خلال طبعات جديدة مع مرور الوقت، لكنه سيبقى نصّاً جوهره التنوّع والتعدّد، وفيه فسحةٌ لإسهامات ومشاركات جميع الباحثين.

الأصول ونظرية العلم للزمن ما بعد الطبيعي

سيلفيو فونتوفيتش وجيرون رافيتز

ثمة دعوات لعودة العلم بعد قرون من الانتصارات، وانتشار نزعة التفاؤل العلمي، وذلك لعلاج الأمراض التي أحدثها النظام الصناعي العالمي، الذي دشّن العلم الحديث أساساته الأولى. وقد تم تجاوز ثنائيات الحقائق والقيم، والمعرفة والجهل. فالعلم الذي يتبنّاه الشرط الحداثي الجديد يتكئ على افتراضات اللامتوقع، والسيطرة غير الكاملة، وتنوّع الأطر القانونية المقبولة. وإنّ العلم الذي يتساق مع هذه الحقبة هو "اللاطبيعي".

يصبح اللايقين في سياق العلوم اللاطبيعية مشروعاً، ولكنه خاضع لإدارة بشرية، رغم أنّ القيم التي يقوم عليها تبدو واضحةً وجليّةً، لكنها قيّم غير مفترضة مُسبقاً، وقد أصبح النموذج المتبع هنا هو الحوار التفاعلي وليس الاستنتاج العلمي البنيوي.

وفي هذا النوع المستحدث من العلم، أصبحت المخرجات العلمية لصنع القرار تتطلب مجتمعاتاً ممتداً، يعتمد مبدأ التكافؤ الاجتماعي والقدرات والكفايات. ^(١) إنّ مثل هذا التوسّع في الأطر المقتنّة لاستدخال مشاركين جُدد للمشاركة في حوارات صُنّع السياسات، وفي سياقٍ من الاحترام المتبادل بين عدة تصورات وطرائق للمعرفة، تزيد من احتمالية تطوير مناخ ديمقراطي فعّال في خضمّ صيرورة العلم.

الغزو المخبري العلمي مرة أخرى: المنهج العلمي والطبيعة

لم يعد من الضروري مواجهة الطبيعة علمياً بوصفها متوحّشةً وغير قابلة للترويض؛ فقد جعلت التكنولوجيا والطب من الطبيعة أمراً يمكن التنبؤ والتحكّم به، لكن الوجه الآخر لمثل هذا الإنجاز قد لا يكون مستداماً على الإطلاق، فقد أدّى تغوّل المنهج العلمي لهيمنة مطلقة على كلّ أشكال المعرفة الأخرى.

بعبارة أخرى: فإنَّ تجربة البدهيات والمهارات المكتسبة لكسب العيش والحياة لم تصمد أمام سلطة العلم. فمنطق صنع القرار الجمعي لا بدَّ أن يظهر بصورة علمية، وقد أدَّى مخاض التجربة العلمية لولادة معضلات تتعلق بسياسات صنع القرار العلمي، والتي يستحيل حلُّها بواسطة الماهية العلمية ذاتها.

المركزية لمبدأ اللايقين والقياس المعياري

يبدو أنَّ مبدأ اللايقين والقياس المعياري يسيران من تخوم هامش المنهج العلمي صوب المفاهيم المركزية والمعيارية البديلة. ولا شك، أنَّ قضايا السياسات العلمية الجديدة تتمتع بسمات مشتركة تميّزها من ماهية القضايا العلمية التقليدية؛ فهي كونية في مستوى انتشارها وممكانتها وطويلة المدى في أثرها، لكن البيانات المتعلقة بآثارها الجليّة لا تبدو مناسبة البتة. وتلك الظواهر المعقدة والمستجدة والمتنوعة لم يتم استيعابها بصورة مقنعة حتى اللحظة. فلا يمكن المضيّ قدماً في مثل هذه السياسات على أسس من التنبؤات الحقيقية.

وأصبح لزاماً علينا تطوير مناهج علمية جديدة للاستفادة من ماهية الجهل البشري.^(٢) وحتى تترجم هذه المقدمات، فلا بدَّ من التخلّي المنهج عن الاعتماد الكلي على التقنيات، وعن تحييد الاعتبارات الأخلاقية والاجتماعية والمنهجية في هذا السياق.

استراتيجيات حل المشكلات

إنَّ مبدأ اللايقين ومواقف القرار المترتبة عليه، هي السمات المناقضة التي تُشكّل ماهية العلم بصورة تقليدية، لا سيما مبدأ الموضوعية وقيمتها المحايدة. فمصطلح "أنظمة اللايقين" تحتوي على مبدأ وهو أنَّ المشكلة تتعلّق بماهية فهم لحقيقة بنيوية معقدة، وشيء من الإدارة المسؤولة. أما مصطلح "ظروف القرار"، فلا بدَّ من فهم كلّ الأسعار، والاستحقاقات، والقيمة، والالتزامات المترتبة لأصحاب المصالح على تعددهم. ومن خلال فهم كلّ هذا، نتمكن من معاينة ثلاثة أنواع من استراتيجيات حلّ المشكلات العلمية.

- العلوم التطبيقية

لا شك أنّ تفسير استراتيجيات حلّ المشكلات يبدأ بالاستراتيجية الأكثر شيوعاً، وهي العلوم التطبيقية. وهذا يجعل من حضور نظامي المخاطر المترتبة على صنع القرار واللايقين متواضعاً، وستكون مخاطر صنع القرارات بسيطة ومتواضعة. وتبدو المشكلة قابلة للحل من خلال منهجية طبيعية، تنكئ على أسلوب حلّ الألغاز. كلما كان مبدأ اللايقين ومخاطره المترتبة على القرارات أقلّ حضوراً، فإنّ مخاطر القرارات العلمية والأنظمة التقليدية للمراجعة العلمية والتقييم الأكاديمي الصارم، لتقييم الأوراق البحثية سوف يُؤتي أكله على أحسن وجه رغم المشكلات، التي تعترض صيرورة التقييم الأكاديمي.

- الاستشارات المهنية

تتضمن الاستشارة المهنية وجود العلوم التطبيقية، لكنها تعالج المشكلات التي تتطلب منهجيات متنوعة لغاية حلّها بصورة كاملة. ولا بدّ من وجود التحكيم الذاتي، الذي يتكئ على مهارات ذات مستويات عُليا، فمبدأ اللايقين أصبح هذه الأيام أكثر تعقيداً على المستوى المنهجي، وأصبحت المخاطر المترتبة على القرارات العلمية أكثر تعقيداً. وعادة ما تكون الأهداف، التي تناسب مثل هذه المهام أكثر التباساً، وتتضمن العديد من الأشخاص المساهمين والمستثمرين والأنظمة الطبيعية أيضاً.

وتجدر الإشارة إلى أنّ المهام الاحترافية تعالج مواقف متفرّدة. ولهذا، يصبح العامل الشخصي مهماً بالضرورة. وبناء عليه، قد يصاب الجماهير بالارتباك والتوهّم لدى مشاهدتهم بعض العلماء المعارضين بقوة على مشكلة العلوم التطبيقية، وما تتضمنه هذه العلوم على مستوى الوضوح. ولا بدّ أنّ تفوق المكاسب، التي نجني ثمارها من الوضوح قد نحاول تعويضها جراء الخسارات، التي تحدث بسبب التضليل والتعمية لما يسمّى بالدقة العلمية، التي لا يشوبها الخطأ.

- علوم الزمن ما بعد الطبيعي

لا بدّ لنا من أخذ النوع الثالث من استراتيجيات حلّ المشكلات بعين الاعتبار؛ إذ تكون المخاطر المترتبة على القرارات العلمية ومبدأ اللايقين مرتفعة. تُسمي هذا المبدأ بالزمن "ما بعد الطبيعي" لأنّ تمرينات حلّ الألغاز للعلوم الطبيعية، لم تعد مناسبةً لحلّ العضلات السياسية المعنية بالمخاطر والبيئة.

ثمة سمات متناقضة للعلوم ما بعد الطبيعية، وهي أنّ ماهية نشاط حلّ المشكلات قد قلب الموازين رأساً على عقب؛ فقد ولّت الهيمنة التقليدية للحقائق الراسخة إلى غير رجعة، وحلّت مكانها القيم الرخوة. وجراء هذا التحوّل لا بدّ من وجود سلسلة من الإرهاصات، التي تُنبئ بمدخلات علمية تعنى بصيرورة القرارات التي يتم اتخاذها في هذا السياق. ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ كلّ المكونات السببية هي غير يقينية بصورة متطرفة، ويُصبح الانتظار لظهور كل هذه الحقائق أمراً غير محمود العواقب.

وهنا تتجاوز ظواهر اللايقين هذه الأنظمة، لتشمل القيم الأخلاقية أيضاً، وتتضمن أيضاً معضلات السياسات الجديدة رفاهية أصحاب المصالح والمتفاعلين الجدد، مثل أجيال المستقبل، والأنواع الأخرى من الأحياء، وبيئة الكوكب الأرضي كلها، ولا يبقى لدينا سوى الحوار بين جميع الأطراف لتحقيق الحلول الخلاقة لمثل تلك المعضلات.

مجتمعات الأقران الممتدة والمتكافئة

إنّ وجوه اللايقين المتعددة في سياق علوم الزمن ما بعد الطبيعي - والتي تشمل المخرجات والصيرورة لهذه المخرجات، تجعل من تعزيز أهمية الأشخاص أمراً لا بدّ منه. ويصبح الناس الذين تعتمد حياتهم وطرق معاشهم على حلّ المشكلات أكثر حرصاً ووعياً بالكيفية، التي تتحقق من خلالها تلك المبادئ العامة في عُقر دارهم.

وُتُصِبح لديهم "حقائق ممتدة" تتضمن الحكايات، والدراسات الاستقصائية غير المؤسسية، والمعلومات الرسمية المنشورة بطرق غير رسمية.

الخلاصة

إنّ مشكلات العضلات الجديدة المتعلقة بالمخاطر والبيئة هي مشكلات عالمية ليس فقط في حدودها المعروفة، ولكن في مدى تعقيدها، وانتشارها وأصالتها بوصفها مادة دراسية للبحث العلمي، فالنشاط العلمي الآن يشمل إدارة مبدأ اللايقين الذي لا يمكن اختزاله في المعرفة أو في الأخلاق، والاعتراف بالمجالات الممكنة المتنوعة وطرق فهم المعرفة. إنّ استجابة الزمن ما بعد الطبيعي تتأتى من خلال تعرّف التحديات، والبدء بإعادة الدمج والانخراط من خلال قبول مبدأ اللايقين وتبني مبدأ التعددية.

المراجع

- (١) فونتوفيتش، س. و. ورافيتز، ج. ر. "ثلاثة أنواع لتقييم وظهور العلوم ما بعد الطبيعية"، في كتاب نظريات المخاطر، تحرير: د. كولدينج وس. كريمسي. نيويورك: مطبعة جرينوود، ١٩٩١ م.
- (٢) رافيتز، ج. ر. دمج المعرفة مع السلطة، لندن: مطبعة كاسيل، ١٩٩١ م.

في رحاب الأزمة ما بعد الطبيعية

ضياء الدين سردار

يقول المثل: إنّ المصائب لا تأتي فرادى، بل تأتي زرافاتٍ ووحداً، لقد أمّطرتنا السنوات الأخيرة بالكثير من المصائب بصورة لا نظير لها من قبل. ولو قدر لمخاطر التغيّر المناخي المحدقة بنا أن تسرق النوم من أعيننا في السابق، فإننا نعيش الآن أسوأ أشكال الانتكاسات العالمية على مرّ التاريخ، وقبل أن تتمكن من التقاط أنفاسنا من هول ما يحدث، فقد غزا الكوكب وباء انفلونزا الخنازير. يتوارى وراء كلّ هذا أزمة الطاقة، وشُحّ المصادر الطبيعية، واستمرار خطر انتشار الطاقة النووية على نطاق واسع، والتهديد اللامنتهي لظاهرة الإرهاب. نحن بلا شك لا نتق بأصحاب المال والسياسة، والقلق يحاصرنا باستمرار فيما يتعلق بأمننا الوظيفي، وأمن أطفالنا، والوبال الذي يعصف بمجتمعاتنا. والدهر لا يبقى على حدثانه؛ فكلّ شيءٍ محكومٌ باللايقين وقلق انعدام الأمن والأمان.

أهلاً ومرحباً بكم جميعاً في رحاب الأزمة ما بعد الطبيعية؛ فروح العصر تتسم باللايقين، والتغير المتسارع، والتماهي مع إكراهات السلطة، والسلوك الفوضوي والتحويلات المروعة. فنحن نعيش في أزمة ما بين بين؛ إذ تتلاشى الأنظمة التقليدية المتزمتة القديمة، ونشهد ولادة أنظمة جديدة، وقلة قليلة من هذه الأنظمة تبدو أمراً يستوعبه العقل البشري. إنه عصر محتشد بأعتى ضروب الخطر، التي تؤدي بنا للخراب، إذا لم يكن لحافة الهاوية.

إنّ جُلّ ما نعدّه جزءاً من الزمن الطبيعي والتقليدي، لم يعد كذلك في الوقت الحالي، وقد أصبح العالم بأكمله مكاناً يتسم باللايقين. وبالكاد نستطيع العثور على بلد يمكن الوثوق برجال السياسة فيه أو احترامهم. وحتى دوائر معلومات الطقس والمناخ لم تعد موثوقة، وهذا كله بفضل الانحباس الحراري العالمي. إنها أزمة متعددة من الكوارث والأزمات المتزامنة. ليست المسألة مجرد أنّ الأمور تسير

في المسار الخاطئ، ولكنها تسير بصورة خاطئة بشكل مربع، ولا تخلو زاوية في هذا العالم لم تسلم من هذا الوبال. إننا نجد أنفسنا في موقف أبعد ما يكون عن الزمن الطبيعي؛ وبهذا نكون قد دخلنا من بوابة الأزمة غير الطبيعية بلا رجعة.

إنَّ كلَّ أشكالِ هذا التهافت المتسارع مرتبطة بعوامل ثلاثة: التعقيد، والفوضى، والتناقضات، تلك القوى التي تُشكِّل وتدفع بالأزمة ما بعد الطبيعية قدماً دون توقف.

التعقيد

نستطيع أن نقول: إنَّ كلَّ الأشياء التي نتعامل معها تقريباً تتسم بالتعقيد. والتعقيد هو إحدى النتائج الطبيعية للحقيقة التي من خلالها اتخذت مشاكلنا العصرية نطاقاً عالمياً. والعولمة تحفز مبدأ التعقيد ليس ببساطة من خلال جعلنا أكثر استقلالية، ولكن من خلال زيادة قدرتنا على التواصل مع الآخرين، فلا شيء يحدث أو يوجد بمعزل عن العالم. وليس هذا فحسب، بل ثمة تقليعات أخرى تجعل من الأشياء أكثر تعقيداً؛ فالأشياء تتغير بصورة دائمة، وتحدث غالباً بالتزامن. ويبدو لنا أنَّ مبدأ التعقيد الذي نواجهه حالياً عصيٌّ على الاستيعاب، بل أصبح من المستحيل بصورةٍ نسبيةٍ التكيّف مع مبدأ التعقيد.

لكنَّ مبدأ التعقيد يُعلِّمنا درساً مهماً: إنَّ مفهومي السيطرة ومبدأ اليقين أصبحا ضرباً من الماضي الغابر، ولم يعد لدينا ترف الوقت للتأمل في عصرنا الحالي أو حتى ترف الملاحظة والرد على مثل هذه النتائج التي تتناقض مع رغباتنا أو الدخول في مناظرات للحصول على شيءٍ من التوازن.

الفوضى

إنَّ مبدأ التعقيد هو مقدمةٌ وشرطٌ مُسبقٌ وضروريٌّ لحدوث الفوضى، وإنَّ السلوك الفوضوي ليس ظاهرةً ضيقة النطاق والانتشار، بل أصبح من غير المألوف أن ترى الحضارات، ومجتمعات بأكملها أو حتى جميع سكان كوكب الأرض يتصرفون وفقاً لإكراهات نظرية الفوضى؛ ولأنَّ كلَّ شيءٍ متشابكٍ ومتّصلٍ مع كلِّ تفاصيل

الأشياء الأخرى، فإنَّ أيَّ إخفاقٍ أو فشلٍ ما يحدث في أي مكان في الأرض، فله أثرٌ غير مباشر على كلِّ أجزاء الشبكة العالمية، وقد يزعزع استقرار النظام القائم، مؤدياً لانهاره بالكامل. علاوةً على ذلك، فإنَّ إمكانية وجود ردود فعل إيجابية هو احتمالٌ كبيرٌ جداً. كل هذا بفضل الهواتف المحمولة، ورسائل البريد الإلكتروني، والمدونات، والتغريدات، ووسائل الإعلام الإخبارية على مدار ٢٤ ساعة متواصلة. فنحن إذن على اطلاعٍ تامٍّ بهذه الأخبار والتفاصيل للتفاعل الفوري، ونحن مجهزون بكل الوسائل لإطلاق نماذج جديدة من شبكة التفاعلات الأخرى.

وعلى منوال مبدأ التعقيد، فثمة درسٌ أساسيٌّ يُعلِّمنا إياه مبدأ الفوضى: إنَّ المسؤولية الفردية والاجتماعية والمساءلة جميعها ذات أهمية كبرى من أجل بقائنا الجمعي، فالفردية هي وصفة للكارثة.

مبدأ التناقض

إنَّ العالم المعقّد والمتشابك، والذي يضمّ عدداً لا يُحصى من الأيدولوجيات والمصالح، والخطط، والرغبات، والذي يتفاعل بصورة فوضوية، لا يستطيع أن يقوم بأكثر من إعادة توليد التناقضات. وفي خضم الأزمّة ما بعد الطبيعية، ثمة نوعان من التناقضات التي تسترعي انتباهنا.

يتعلّق التناقض الأول بمبدأ التغيير؛ فالأشياء تتغيّر بصورة دائمة، لكنها لا تتغيّر بالوتيرة المتسارعة نفسها، التي يشهدها العالم هذه الأيام؛ فقد أصبح التسارع الأسّي هو القاعدة المعيارية. ورغم لك، فإنَّ هنالك قطاعات واسعة من كوكب الأرض وشريحة واسعة من حياتنا الاجتماعية شبه ساكنة، فكلما تغيرت الأشياء، بدت وكأنها بقيت على حالها.

أما مبدأ التناقض الثاني، فهو معني بالمعرفة، ففي الوقت الذي يتضاعف فيه رصيدنا المعرفي بصورة متسارعة ومهولة في كل المجالات تقريباً، يبدو أننا نزداد جهلاً أكثر من وقت مضى.

ولا يمكن حلّ معضلة الجهل بوساطة البحث المتعارف عليه. ولهذا السبب، فلا يوجد لدينا أدنى فكرة عن وجودنا. ولهذا، فنحن في مواجهة مباشرة مع لعنة ثلاثية من الجهل، أو ما يمكن تسميته الجهل المكعب: الجهل بجهلنا، والجهل المتجذّر بالمخاطر المحتملة، والتي قد تكون إحدى نتائج التطورات الأخيرة، والجهل الناتج عن الأعباء الزائدة. فالجهل يتطلّب طرُقاً جديدة للتفكير وبصورة جذرية وتأصيلية.

مبدأ الالايقين

عندما تتلاحم التناقضات، ومبدأ التعقيد والفوضى والتغيرات المتسارعة، تصبح المخرجات المؤكدة هي مبدأ الالايقين، وقد يكون مبدأ الالايقين هو الشيء الوحيد الذي يمكن لنا التأكّد منه، لكنه مبدأ ملتبس وغير مريح، وليس مقبولاً سياسياً أو اجتماعياً، وهو الأساس الذي تنبني عليه مناظرات القرارات الصعبة الحقيقية.

وهذا المزيج من الجهل ومبدأ الالايقين، بالإضافة للميول الدارجة إلى السلوك الفوضوي، والتحليل المتناقض والقضايا المعقدة لمسألة الأمن والمخاطر يقودنا إلى نتيجة حتمية، وهي أنّ خياراتنا الحالية لخوض غمار "العمل بصورة طبيعية" أصبحت ضراً من الماضي بصورة خطيرة للغاية.

الفضائل

نحن بحاجة ماسّة للتفاوض من أجل شقّ طريقٍ مناسبٍ باتجاه الأزمنة ما بعد الطبيعية. وبالرغم من هذا، فإنّ المشكلة تتلخّص في أنّ المكان والزمان والإرادة للانخراط في نقاش عقلائي أصبح أمراً نادراً، في سياق صارت فيه الأشياء أكثر تعقيداً وأكثر فوضويةً من أي وقت مضى. وللتفاوض بهذا الخصوص من أجل الخروج من مأزق الأزمنة ما بعد الطبيعية، لا بدّ لنا أن نتعلم ماهية التفاوض، وكيفية اجترّاح مساعيها وجعلها نقطة تحوّل جوهرية.

إنّ الدرس الذي يمكن لنا استخلاصه من سمات الأزمنة ما بعد الطبيعية، هي فضائل العصر القديمة: التواضع والمسؤولية، وإنّ التواضع والمسؤولية فضائل لا يمكن الاستغناء عنها؛ فهي متطلبات أساسية للعيش في سياق اللايقين والتعقيد. وإنّ الفشل في تعرّف مبدأ اللايقين والتعقيد لمواقف بأمّ عينها ليس مجرد خطأ تقني، لكنه أيضاً خطأ أخلاقي.^(١) ومما لا شك فيه، أنّ الأخلاق ولا شيء سوى الأخلاق يمكن أن تُرشدنا للخروج من هذا الطريق المسدود للأزمنة ما بعد الطبيعية.

من الضروري لكلّ وجهة نظر ثقافية وسياسية وفلسفية ودينية، متعارف عليها في الإرث البشري أن تعيد تعلّم ماهية الانخراط مع مبادئها الأخلاقية. ويجب أن تبدأ المساءلة والمناقشة الأخلاقية، التي لا بد لنا من خلقها بتقبّل المبدأ البدهي للأزمنة ما بعد الطبيعية، والذي ينفي وجود احتكار للحقيقة. فعندما تتلاشى الإجابات الصحيحة والإجابات الخاطئة، فكلّ شخص وكلّ وجهة نظر تكون ذات مساهمة محتملة، وكلّ شخص يُصبح لديه إمكانية وجود جزء من الحلّ المحتمل بصورة متكافئة. وما يجب إضافته هنا هو الوضوح الأخلاقي، وهي الحالة الذهنية التي تجعلهم جميعهم، يقرّون بأنهم متورطون في مأزق الجهل؛ ولا أحد يمتلك كلّ الإجابات الصحيحة. وفي سياق الأزمنة ما بعد الطبيعية، فإنّ المرونة والتكيّف والحساسية تجاه الظروف المتغيرة، تتطلّب منا العلو ببصيرتنا الأخلاقية؛ للارتقاء بتنوّع قدراتنا على الاستجابة والتفاعل.

الخيال

تُشخّص المكونات الأساسية للتكيّف مع الأزمنة ما بعد الطبيعية في الخيال والإبداع.

ولكن لماذا؟

وذلك؛ لأنه لا توجد لدينا وسيلة أخرى للتعامل مع مبدأ التعقيد والتناقضات والفوضى. إنّ الخيال هو الأداة الأساسية، التي تتمكن من خلالها الانتقال من

التحليل المنطقي البسيط إلى التحليل المركب الأكثر رقيّاً. وبناء عليه، فلا بدّ من تخيّل وسيلة ما للخروج من مأزق الأزمنة ما بعد الطبيعية.

يبدو أنّ الإخفاق الحالي يمثّل فشلاً في صيرورة الخيال إلى حدّ كبير. ومما لا شك فيه، أننا نستطيع أن نتعلّم الكثير من أخطائنا، ولأنّ المستقبل سيكون أفضل وأكثر ازدهاراً، يبدو الأمر وهماً وخطيراً. ولا بد لنا من تخيّل طرق أكثر جدوى.

نحن نحتاج خيلاً أخلاقياً يمكننا من الاعتراف بمبدأ اللايقين والمخاطر التي نجابهها، ولا بدّ أن نواصل العمل قُدماً في خضمّ مبدأ التعقيد؛ لإغناء الفضائل الأخلاقية التي نحن بأمس الحاجة لها. ويكمن الأمل الحقيقي في حمل أعباء المسؤولية تجاه كل القرارات، التي يمكن لنا اتخاذها للتأكد من وصولنا للمستقبل الذي نتخيّله ونطمح إليه بما يضمن لنا سلامة وأمن البشرية وكوكب الأرض.

المراجع

(١) سيليرز، بول. "التعقيد، والتفكيك، والنسبية"، النظرية والثقافة والمجتمع، العدد ٢٢ (٥)، (٢٠٠٥م).

مراجعات للأزمة ما بعد الطبيعية

ضياء الدين سردار

حاولتُ في الورقة البحثية الموسومة بـ "مرحباً بكم في رحاب الأزمة ما بعد الطبيعية"، تقديم تحليل مركب انبثق من عدد من الدراسات الاستشرافية والمستقبلية. فقد انتشر تحليل الأزمة ما بعد الطبيعية من مشارب علوم الدراسات المستقبلية، والتحليل السياسي، ودراسات الذكاء الاقتصادي، والتراث الثقافي.

أودّ هنا التصدي نقدياً لبعض الردود النقدية على الورقة، في محاولة للإجابة عن بعض الأسئلة، التي أثيرت، والإحاطة ببعض الخصائص لماهية الشرط المتعلق بالأزمة ما بعد الطبيعية، من خلال تحديد معالم هذه الخصائص، وكشف ملامحها الأساسية.

قلق الأزمة ما بعد الطبيعية

يبقى السؤال الجليّ آمناً: كيف يمكن لنا أن نشهد الأزمة ما بعد الطبيعية في وقت لا يوجد فيه شيء يُدعى أصلاً بالطبيعي؟ ومن هو الذي يعرف بالطبيعي أصلاً؟ وفي خضمّ التحليل لنظرية الأزمة ما بعد الطبيعية، فإنّ الطبيعي هو كل ما يمكن مواجهته بصورة متكررة، وما يمكن قبوله بوصفه الوسيلة المركزية للوجود، القيام بأشياء ومعرفتها بصورة تقليدية ورؤيتها بوصفها المعيار الأساسي الذي يفرضه التقليد والمتعارف عليه، والذي يتم ترسيخه من خلال النماذج التأديبية الاجتماعية، والبحث العلمي، وما يمكن التنبؤ به والسيطرة عليه. إنها إذن، نظرية الأزمة ما بعد الطبيعية؛ إذ لا جدوى لمبدأ الطبيعي.

اختار العاملون على نظرية الأزمة ما بعد الطبيعية خمسة عوامل أساسية للتعامل مع النظرية، هي:

أولاً: إنّ هذه النظرية تتجنّب التوسّل بمعطيات نظرية نهاية التاريخ أو نهاية العالم.
ثانياً: إنّ هذه النظرية تُعنى بمركزية وجود الفاعلية، والاستعداد لاتخاذ الإجراءات اللازمة.

ثالثاً: إنّ نظرية الأزمنة ما بعد الطبيعية تسلط اهتمامها على مبدأ التعقيد، والتناقض واللايقين الذي نحتاجه، لفهم ماهية هذا العالم الذي لا يتوقّف عن التغيير.

رابعاً: إنّ نظرية الأزمنة ما بعد الطبيعية، تتكئ على أساساتٍ متينةٍ ومتناسكة.
خامساً: إنّ الإطارَ النظريّ يمكننا من تطوير السياسات المناسبة في شتى المجالات والقضايا؛ لسبر أغوار الأزمنة ما بعد الطبيعية، نحو تحقيق مستقبلٍ متفائلٍ.
يقول راكيش كابور^(١) إنّ نظرية أو مفهوم الأزمنة ما بعد الطبيعية، قد يتجاوز ماهية الحقيقة أولاً، فإنّ حدود الشرق والغرب لم تتغيّر فحسب، لكنها أصبحت أكثر ضبابية، ويصعب تمييزها؛ فليست نظرية الأزمنة ما بعد الطبيعية مفهوماً شرقياً أو غربياً، لكنها ببساطة إطارٌ نظريٌّ يصفُ ويفسّر هذه الحقبة التاريخية المهمة.

ولكن ماذا عن حجة أننا نجابه عقباتٍ مشابهة و"أزمنة غير مألوفة" في الماضي، كما يقول سام كول،^(٢) مع الأخذ بعين الاعتبار مخزوننا الكامن والكافي من المعرفة، وحالتنا البشرية المتفوقة من التطور، فيبدو أننا قادرون على حلّ مشكلاتنا. ولهذا، لا بدّ من المضي قدماً على عتبات المسار الحالي. وتُشير ميريل وين ديفيز إلى أنّ "التفاؤل بالتغيير الجوهري، والذي ينبع من فرضيّة قدرة البشر على حلّ المشكلات في الماضي يدفعنا للقيام بالشيء نفسه للأبد".^(٣) ولأنّ المنهجيات التأديبية هي جزء أصيل من المشكلة، التي أوصلتنا للمأزق الحالي، وجُلّ ما أنتجته الحداثة متجذر في مبدأ الجهل، لم نواجه كمّاً من المشكلات المترامية تزامنياً إلى هذا الحدّ من قبل، ولم يسبق أن شهدنا تسارعاً زمنياً في التغيير أو شبكات العولمة والتعقيد كما هو الآن، ولم نتعوّل في جهلنا بالأشياء إلى هذا الحدّ من قبل، حتى صارت العواقب وبالأغلى علينا في البر والبحر والجو، وخارج سياقنا وقدراتنا الطبيعية.

ولكن هل يعجز النظام، الذي يفتقر لمبدأ التشابك الكوني أو التناقضات الداخلية، عن القيام بسلوك فوضوي أو تجاوز مبدأ الأزمنة ما بعد الطبيعية؟ يكمن الجواب عن هذا التساؤل في السؤال الذي طرحته ميريل وين ديفيز: "هل وصلنا هناك (إلى الزمن ما بعد الطبيعي) بعد؟ نعم، ولا.

إنّ مبدأ الزمن ما بعد الطبيعي ليس ظاهرةً متجانسة؛ فهو لا يؤثر في كلّ شرائح كوكب الأرض بصورة متساوية. ولهذا، فليس كلّ جزء من العالم قابل للإكراهات الأزمنة ما بعد الطبيعية؛ ولكن كلّ جزء من كوكب الأرض، قد يكون متهاياً مع الزمن ما بعد الطبيعي.

الشرط ما بعد الطبيعي

إنّ الشرط ما بعد الطبيعي هو شكلٌ محدّد من الوجود نجده كامناً في أنفسنا، فنحن نواجه المشكلات التي تبدو مختلفةً بصورة مهولةٍ من حيث النطاق، وهي متشابكةٌ كونياً وكامنةٌ في حجم تسارع التغيير. إنّ درجة التشابك العالمي، والشبكات العالمية، وحجم التسارع، قد ولّد نظام النموذج الثلاثي للأزمنة ما بعد الطبيعية، (3Cs) وهو نظام ثلاثي مركب تبتدئ كل كلمة فيه بحرف C: التعقيد (Complexity)، والتناقض (Contradiction)، والفوضى* (Chaos)؛ مما قاد البشرية باتجاه مبدأ اللايقين والجهل.

تشير الأحداث السياسية المعاصرة إلى أننا لم نعد نتعامل مع نتائج الأحداث بصورة منعزلة أو بصورة محلية خاصة أو منفصلة عن الزمكان أو حتى مجرد أحداث تؤدي لاضطراب ما في مجتمع مصغر أو مجموعة صغيرة من الأفراد والتفاعلات البشرية والطبيعية. وبالرغم من هذا كلّ، فإنّ الأحداث والمواقف في سياق الأزمنة ما بعد الطبيعية، تتطوّر بوتيرة متسارعة وتُصبح فوضويةً، ثم تُحكم قبضتها على هذا العالم كلّ.

* لمزيد من المعلومات عن هذه النظام انظر: Post Normal Times | 3C's (المترجم).

الحاضر الممتد للزمن ما بعد الطبيعي

ثمة تخطيط ممنهج لزيادة صيرورة الأزمنة ما بعد الطبيعية في المستقبل القريب؛ ففي نظرية الأزمنة ما بعد الطبيعية تُسمَّى هذه الظاهرة بـ"الحاضر الممتد"؛ وهو المستقبل المباشر، الذي يتشكّل بوساطة تطورات واتجاهات ونزعات راسخة يمكن لنا تعرّفها في الوقت الحاضر. إنّ الاتجاهات الممنهجة ليست قدراً، فلو قُدِّر لهذه الاتجاهات الممنهجة الاستمرار، فسنكون محكومين بوتيرة متسارعة في عالم الأزمنة ما بعد الطبيعية.

وتجدر الإشارة إلى أنّ نظام النموذج المعياري للأزمنة ما بعد الطبيعية، بما فيه التناقض والفوضى والتعقيد، لا يعمل بوتيرة متساوية في كلّ المواقف. ففي بعض الحالات، قد نجد مبدأ التعقيد يشكل العنصر الأكثر أهمية؛ وفي مواقف أخرى، ربما يكون العنصر الأكثر أهمية هو مبدأ الفوضى أو مبدأ التناقض. ولكن، وبصورة عامة، فإنّ ازدياد تسارع نظام النموذج المعياري الثلاثي المتعلّق بالتناقض والفوضى والتعقيد يهيئ المناخ أكثر للأزمنة ما بعد الطبيعية.

تحولات الأزمنة ما بعد الطبيعية

كيف يمكن التكيّف مع الأزمنة ما بعد الطبيعية؟ وكيف يمكن لنا الانتقال قُدماً للأمام دون الوقوع فريسةً لمبدأ الفوضى؟ وكيف ننجو من زيادة مبدأ المجهول، ومآلات الجهل الكثيرة التي نواجهها يومياً؟ تبدأ الإجابة عن كومة الأسئلة تلك، التي تطرحها نظرية الأزمنة ما بعد الطبيعية في ماهية الوعي، وتنتهي بالإبداع والخيال.

علينا أن ندرك أننا عاجزون عن السيطرة على الأزمنة ما بعد الطبيعية أو إدارتها، لكننا نستطيع تتبع مساراتها بفعالية. ولا بدّ أن ندرك أنّ وعينا بأهمية تعدّد المشكلات، التي نواجهها بصورة متزامنة لا يمكن التعامل معها بمعزل عن بعضها بعضاً، فعندما تتأمّل في طبيعة المشكلة، عليك أن تتأمّل جميع المشكلات الأخرى

التي تتشابك مع هذه المشكلة أو تتقاطع معها. ولهذا، فإنّ التعددية وتنوّع وجهات النظر مسألة أساسية لفهم الأزمنة ما بعد الطبيعية وترويض مساراتها.

إنّ الوعي بمثل هذه الحقيقة يعني التماهي مع الأزمنة ما بعد الطبيعية. هنالك جذور أخلاقية لمعظم التغيرات التي أحدثتها الأزمنة ما بعد الطبيعية؛ فليست مسألة الأخلاق مرهونةً فقط بماهية كينونة الإنسان في العالم، بل هي أيضاً مشروطة بكينونة الإنسان المتشابكة مع العالم. والأخلاق هنا تدلّ على الكيفية التي من خلالها تتجلّى علاقاتنا مع بقية العالم، فلا يمكن أن تكون دراسات المستقبل معنية فقط باستشراف المستقبل، ولكن يجب أن تُعنى بما يجب القيام به، للحفاظ على مستقبل أخلاقي وعقلاني في آن واحد.

وربما يكون التحوّل الأساسي، الذي أحدثته الأزمنة ما بعد الطبيعية يكمن في ماهية تعريف السلطة؛ فإنّ السلطة الحقيقية للغرب تتجلّى في قدرتها على تعريف المفاهيم المركزية لماهية البشرية والمجتمع البشري، لكن الأزمنة ما بعد الطبيعية تنبئنا بأنّ مثل هذه المفاهيم لم تعد صالحةً لهذا الزمن. ويحدث هذا عندما يصبح الإبداع والخيال جزء من المعادلة الجديدة.

لا بدّ من الاستفادة من الإبداع والخيال، لإنتاج مفاهيم جديدة خلاقة لكل شيء بدءاً من الفن والهندسة المعمارية، وسياسات التخطيط، وعلوم الدين، وكلّ ما يمكن أن يتشابك مع ماهية الإنسان في سياق الأزمنة ما بعد الطبيعية. لقد آن الأوان لنا جميعاً أن نتعلّم درساً من كتاب الفرقة الكندية التجريبية "ما بعد الطبيعي". ففي أغنياتهم "الدم المتجمد والجليد"، نسمعهم يغنون بأنّ شيئاً مُربحاً يحدث في زمننا هذا، ولا بدّ لنا من محاولة إصلاح هذا العالم.

المراجع

- (١) كابوور، راكيش. "هل هنالك حقاً أزمة ما بعد طبيعية؟" من وهم الزمن الطبيعي إلى نموذج طبيعي جديد"، مجلة الدراسات المستقبلية، العدد ٤٣، (٢٠١١م).
- (٢) كول، سام. "المنطق التكراري: نظرية الأزمة ما بعد الطبيعية"، مجلة الدراسات المستقبلية، العدد ٤٣ (٢)، (آذار ٢٠١١م).
- (٣) وين ديفيز، ميريل. "الأزمة ما بعد الطبيعية: هل وصلنا هناك؟" مجلة الدراسات المستقبلية، العدد ٤٣ (٢)، (آذار ٢٠١١م)، الكسندر-الحرب السبرانية.

المنهجيات والأسئلة: ثالث المستقبل للأزمة ما بعد الطبيعية

ضياء الدين سردار وجون سويني

مدخل

ثمة سؤال جديد يُطرح برأسه أمام باحثي دراسات المستقبل، والباحثين المتمرسين في ميدان بحوث المستقبل التنبؤية في خضمّ التغيرات بعيدة المدى والمتسارعة والمتزامنة: هل تستطيع المنهجيات القائمة التعامل مع العقود المستقبلية المعقدة والمتناقضة والمجهولة والفوضوية، والتي تتداعى بصورة متسارعة وبنوية؟ وبصورة تقليدية، فإنّ دراسات المستقبل تتصدّى لكمّ متعدّد ومهول من العقود المستقبلية البديلة من خلال التفريق بين المعقول القابل للتصديق والمحتمل، وبين الممكن والأزمة المستقبلية المنشودة.^(١) ولكن يا ترى، ما هو المحتمل في عالم يحاصره اللاتيقن والفوضى، اللذين صاراً نمطاً معيارياً لهذه الأزمة؟ وما هو المعقول القابل للتصديق والعقلنة في أزمة مستقبلية محكومة بالتناقضات؟ وهل منهجياتنا التقليدية، كالتنبؤ، والسيناريوهات المحتملة والنمذجة توائم الغرض التأسيسي للأزمة ما بعد الطبيعية؟ وهل مثل هذه السيناريوهات المحتملة عن المستقبل تأخذ بالاعتبار صيرورة التغيّر الديناميكي المستمر؟ وهل منهجيات نمذجة السيناريوهات القائمة تسمح لوجود سياق تعددي من الحوارات الجماعية والجمعية، والتي تشمل العنصر البشري وغير البشري واللابشري، الذي تتطلبه ماهية الأزمة ما بعد الطبيعية؟ وكيف لنا أن نخرج بسياسات ناجعة وميسورة للتحكم بصيرورة الأزمة ما بعد الطبيعية بصورة فعالة؟

لا شك أنّ المنهجيات المعاصرة لدراسة المستقبل ليست منبئةً عن سياقها، ولكنها تشي ببعض القيود البنوية، لا سيما فيما يخصّ ماهية الأزمة ما بعد الطبيعية، وما نراه من منهجيات لدراسة المستقبل لا يواكب القوى والدوافع، التي تزلزل الواقع الحاضر، وتدفعنا نحو مستقبل مجهول.

ولكن ما هو المطلوب؟ الحوارات الجماعية الفعّالة على المستويات والأصعدة كافة،^(٢) وتلك الحوارات الجماعية الفعّالة تشي بالعديد من الحوارات المثمرة والمتعددة، ولغة المنطق، وأنماط حياة معينة.^(٣) وكما نرى، فإنّ الحوارات المتعددة الفعّالة تتطلّب خلق فضاءاتٍ ماديةٍ وذهنيةٍ جديدةٍ تُتيحُ للتعددية والتشاركية الجماعية، والآراء المناظرة التدافع والتفاعل بصورةٍ فاعلةٍ ومستقلّةٍ، ولكنها قادرة على تحفيز الآخرين بصورةٍ معمّقةٍ لخلق المعرفة ومشاركتها. وبالإضافة لإيجاد وسائل أكثر جدوى وعادلة؛ لمشاركة ماهية ما نعرف، وكيفية حدوث هذه المعرفة، علينا أن نسعى بصورةٍ مستمرةٍ لإيجاد طرق تشاركية وديناميكية لخلق الحكايات التي نعرفها ومشاركة هذه الحكايات مع الآخرين؛ فكل تفسير تحليلي للحاضر والمستقبل يتطلب معرفة أنّ كلّ الأشياء التي نعدّها شكلاً من البدهيّات قد تُصبح أكثر غرابةٍ فيما بعد.

الطبيعي، ما بعد الطبيعي، الانفجار والطفرة ما بعد الطبيعية

لابدّ من الاعتراف بالحقيقة الغرائبية، التي مفادها أنّ الطبيعي وما بعد الطبيعي يتقاطعان ويكونان حذو النعل بالنعل. فثمة الكثير من الأنظمة الطبيعية، التي لن تستمر في وظيفتها الحيوية بصورة طبيعية في سياق الأزمنة ما بعد الطبيعية آجلاً أم عاجلاً، وسوف يكون هنالك أثر مباشر وغير مباشر على هذه الأنظمة الطبيعية من قبل النموذج الثلاثي للأزمنة ما بعد الطبيعية (3Cs)، الذي يتكون من: التعقيد Complexity، والفوضى Chaos، والتناقضات Contradictions.

يبدو أنّ مصطلح الطبيعي ذاته هو أيضاً غريب في سياق الأزمنة ما بعد الطبيعية، فماهيته يتم تصنيعها بإرادة مقررة مسبقاً؛^(٤) فهو مصنّع لأنّ مصل هذه المعايير يتم تطويرها من قبل مؤسسات دولية راسخة، ومنظمات تؤدّي دورها من خلال الانكفاء على قوى السوق العالمي، وافتراضات ذاتية مسلّم بها، بالإضافة لاحتكار مبطن من أجل إدكاء رغبات المستهلك الأيديولوجية وأحلامه.

إنّ حقل تصنيع المبدأ الطبيعي (MNF) هو وسيلة لتوجيه المفاهيم البشرية لما هو طبيعي، وما هو غير طبيعي، وكحقل يتّسع ويضيق بحسب نطاقات الاهتمام الفردية والجمعية، فإنّ حقل تصنيع المبدأ الطبيعي، هو حقل يتشكّل من خلال قوى الجهل واللايقين.

وتسير الظواهر الطبيعية باتجاه النزعة ما بعد الطبيعية من خلال سلسلة من تشكلات الطفرة ما بعد الطبيعية. ورغم أنّ القوى التي تحرّك الطفرة ما بعد الطبيعية ذات تأثير مهول، فإنّ البعض لا يركب هذه الموجة المغرية نفسها. هنالك أيضاً بعض الذين لا يتمكّنون من رؤية أو تجاهل أو حتى تفنيد ظهور طفرة الأزمنة ما بعد الطبيعية، إنهم يعانون من كبوة ما بعد طبيعية: شرط مفاهيمي من الإنكار. وقد أصبحت الكبوة ما بعد الطبيعية ضرباً من ضروب التّصل والإنكار، وهو الأمر الذي يمكن تجاوزه من خلال طفرة الأزمنة ما بعد الطبيعية، عندما يصبح النظام بقضه وقضيضه محكوماً للمبدأ ما بعد الطبيعي؛ إذ لا مفرّ من هذه الصيرورة.

الإطار الفكري لثالث المستقبل للأزمنة ما بعد الطبيعية

لو أخذنا بعين الاعتبار الخصائص الغرائبية لعصرنا الحالي، فإنّ سبر أغوار المستقبل من خلال الإطار الفكري للأزمنة ما بعد الطبيعية، يجعلنا في مواجهة مع تحديات خاصة. فنحن بحاجة لتسليط الضوء على التزامن والتعقيد والطبيعة الديناميكية للأزمنة ما بعد الطبيعية، ويجب علينا أن نتفهّم مبدأ اللايقين بالإضافة للعديد من مستويات الجهل البشري، ولا بد لنا من توظيف مكثّف لطاقات الخيال والخلق في مثل هذا التمرين الفكري. لقد قمنا بتطوير الإطار الفكري لفهم غمار الأزمنة ما بعد الطبيعية، والغوص في تحليل ماهيتها، واستبصار إرهابات المستقبل، ويتكئ هذا الإطار الفكري على مبدأ ثالث مستقبل الأزمنة ما بعد الطبيعية.

الحاضر الممتد هو الغد الأول؛ وهو بأمّ عينه الغد الذي يتحدّث عنه الناس عندما يتحدّثون عن المستقبل. ويتم التحكّم بالحاضر الممتد والسيطرة عليه من

خلال التقليلات الجديدة، والقضايا المتزامنة مع أحداث الساعة أو من خلال بعض الإرهاصات الضعيفة، التي لا يمكن منع حدوثها؛ فهي ببساطة توسع نطاق ودائرة الحاضر. ويبدو أنّ أقصى ما يمكن لنا فعله هنا هو التوسّل بمنظار الأزمنة ما بعد الطبيعية، لتحديد الأنظمة التي ترحف باتجاه الأزمنة ما بعد الطبيعية أو تقف على حافة ما نسميه طفرة الأزمنة ما بعد الطبيعية.

تأتي أزمنة المستقبل المألوف تبعاً بعد الحاضر الممتد، ويبدو أنّ هنالك صوراً وتخيّلات تتوسّط أزمنة المستقبل؛ بها فيها إسقاطات تسوّقها قوة المعلومات، والخيال العلمي. أما التقليلات المضمرة في الحاضر الممتد والصور المستمدة من الإعلانات، ورؤى الشركات، وعلم المستقبل الشعبي، وروايات الخيال العلمي، والأفلام وعروض التلفاز، فيتمّ الاتكاء عليها واستبصار إرهاصات خلق صورة للمستقبل تبدو مألوفة للجمهور.

تموضع أزمنة المستقبل غير المتوقع ما وراء أزمنة المستقبل المألوف، وهو فضاء ممكن للغاية، ويبدو أنّ أزمنة المستقبل غير المتوقع ليست مجرد أزمنة غير متوقعة، لكنها فضاء لأشياء تبقى دوماً خارج دائرة التنبؤ.

إنّ أزمنة المستقبل غير المتوقع ليست مجرد أزمنة لا يمكن التنبؤ بها أو توقعها، لكنها أزمنة تقع خارج إطار التفكير التقليدي.

الجهل، واللايقين، واستعارة القدرات الكامنة للأزمنة ما بعد الطبيعية

ثمة نمط خصوصي من اللايقين والجهل يتبع كلّ زمنٍ مستقبلي، ويشخصّ الشكل الأكثر بداهة للايقين عندما يصبح تغير الاتجاه معروفاً، ولكن لا يمكن التنبؤ بأهمية واحتمالية الأحداث والمآلات. هكذا يكون الحال في سياق الحاضر الممتد. نسمي هذا النمط باللايقين السطحي، الذي يمكن معالجته إلى حدّ ما بالتوسّل بالمعرفة اللازمة، وأدوات الاستبصار المستقبلي. وفي الأزمنة المستقبلية المألوفة، يتأتّى

لدينا عددٌ مهوّلٌ من البدائل والأزمنة المستقبلية الممكنة، لكننا نجهل أنّ العديد من هذه الأزمنة المستقبلية هي محض إسقاطات لصور مشتركة عن المستقبل ونُسمي هذا النمط باللايقين الضحل.

وأخيراً، فإنّ الأزمنة المجهولة، التي يبدو فيها كلّ شيء ممكن الحدوث، ولا شيء يمكن معرفته، تحيلنا لللايقين العميق. وهنا، فنحن لا نجهل الاتجاه، والجانب والأثر للتغيير فقط، لكننا غير قادرين على معرفة ما يحدث للنظام؛ لأنّ منظورنا العالمي للنظرية المعرفية فيه الكثير من الشطط.

كلّ نمط من أنماط اللايقين مرتبط بفئة معينة من الجهل، وهنالك جهل بسيط، أو الجهل البين (والمشار إليه بعلامة: I^1). إنه ذاته الجهل الذي يمكن التغلّب عليه من خلال فهم الشبكات المعقدة المتغلغلة في النظام أو من خلال تقدير الحقائق المتزامنة للأفراد الفاعلين من ذوي المتطلبات المتناقضة. إنّ هذا النوع من الجهل في الحاضر الممتد هو النوع المهيمن، والذي يمكن التغلّب عليه، والتقليل منه، من خلال التعلّم، والبحث، وتقدير وجهات نظر الآخرين، وطرح الأسئلة الدقيقة. لقد أقحمتنا الأزمنة المستقبلية المألوفة في مستوى أكثر عمقاً من الجهل لا سيما أننا نجهل ماهية الأسئلة التي نطرحها، ونُسمّي هذا النوع من الجهل بالجهل، الذي يمكن التغلّب عليه (ويشار إليه بعلامة I^2)، ولا يمكن التغلّب عليه في الوقت الحاضر من خلال التعلّم فليس هنالك أشياء يمكن تعلّمها، لكنه خلق ضرباً من الوعي بما نجهله وما يتوجّب علينا السعي لمعرفة في المستقبل. ولهذا، فثمة مقولة رامسفيلد "الجهل بالجهل: "أولئك الذي يجهلون أنهم لا يعرفون".^(٥) وهذا الأمر مرتبطٌ باللايقين العميق للأزمنة المستقبلية خارج إطار المفكر فيه، وتصنّف بوصفها "الجهل الذي يمكن التغلّب عليه" (يشار إليه بعلامة I^3).

ويمكن رؤية ظواهر الأزمنة ما بعد الطبيعية بسهولة في تضاعيف الزمن الممتد، وإنّ الأمر أشبه بوجود مشكلة كبيرة لا يعترف بوجودها جميعهم بسبب التعمية، فلا

يرى أحد الحجم الحقيقي للمشكلة، ولا يمكن لأحد أو حتى يُفَضَّل بعضهم تجاهلها. إنَّ استعارة الفيل الأسود في الغرفة السوداء (تجاهل المشكلة الحقيقية)، كما ينوّه فاينيه جوبتا "هو حدثٌ محتملٌ جداً، ويمكن التنبؤ به على نطاق واسع من قبل الخبراء، ولكن الناس يحاولون تزييفه في لبوس حدث لا يمكن التنبؤ به عند حدوثه".^(٦)

إنَّ مصطلح نسيم طالب "المشهور" البجعة السوداء "The Black Swan"، الذي يعني الحدث والمآلات الكبرى المفاجئة، والتي لا يمكن التنبؤ بها هو مصطلح يمسك جوهر الأزمنة المستقبلية من ناصيتها. يبدو أنَّ مصطلح الأحداث التي لا يمكن التنبؤ بها هي أحداث لا يتم التطرق لها أو تصورها، حتى من قبل الخبراء؛ وتشخص أماننا بوصفها "تصورات خارج زمنها"، بل هي أحداثٌ "تنبجس من الفراغ"، كما يوضح لنا طالب، فهي "هشّة أمام سوء التقدير، وفيها تهوين مُفرط يمتزج بنوعٍ من المبالغة المفرطة في التقدير في بعض الأحيان".^(٧) ويمكن أن يكون مبدأ البجعة السوداء إيجابياً، بمعنى أن تأثيرات هذا المبدأ قد تولّد فرصاً غير متخيّلة في السابق. وعلى أيّ حالٍ، وقد تكون آثار مبدأ البجعة السوداء سلبياً بالتساوي مع مبدأ طفرة الأزمنة ما بعد الطبيعية وانفجار الأزمنة ما بعد الطبيعية.

إنَّ ظواهر الأزمنة ما بعد الطبيعية ليست سهلة التنبؤ في الأزمنة المستقبلية غير المألوفة. نحن إذن، نمثّل الإمكانات ما بعد الطبيعية للأزمنة ما بعد الطبيعية لأزمنة مستقبلية غير مألوفة. إنَّ تأثير الأحداث غير المألوفة وتأثيرها الرهيب، ما هي إلا ظواهر طبيعية قُدِّر لها أن تنقاد للحالة ما بعد الطبيعية من خلال الاستجابات الإيجابية. إنَّ ظواهر الأزمنة غير المألوفة تتلخّص في كيفية تحوّل كل المواقف الطبيعية والأحداث لظاهرة الزمن ما بعد الطبيعي، كيف تتبدّل من خلال أنظمة حاسوب الشرطة الوطنية (PNC)؛ إذ تصبح هذه الأحداث والمواقف متّصلةً وموصولةً بنظام شبكات مرّكب ومتناقض.

وبصورة جمعية، نسمّي استعارات اللغة مثل: الفيلة السوداء البجع الأسود، وقنديل البحر الأسود للدلالة على الصور المجازية الطبيعية، التي تتبيّن وتتجلى في ممكنات الأزمنة ما بعد الطبيعية، وهي في مجموعها تهدف لتحدي التقاليد الراسخة، وتسلب الضوء على التناقضات العميقة، وتعيد إحياء اعتبارات أصيلة تسعى هذه الاستعارات لتمثيلها.

العمل من خلال الأزمنة المستقبلية ثلاثية الأفق

ثمة وظائف ثلاثة خاصة لإطار الأزمنة ثلاثية الأبعاد، والاستعانة بها لسبر أغوار البدائل المستقبلية، التي تنطوي على التركيز على التعددية والكفايات للأزمنة ما بعد الطبيعية؛ وتسعى أيضاً لنقد الإسقاطات الموجودة والاستقراءات، ثم القيام بتشييد بنية السياسات وتشكيلها بصورة تواكب معرفة اتجاهات الأزمنة ما بعد الطبيعية.

إنّ صياغة السياسات للتأقلم مع الأزمنة ما بعد الطبيعية يتطلب تقديراً خاصاً لإطار الأزمنة الثلاثي في هيئته الزمكانية وبطريقة مترامنة. وبالانكفاء على المنظور الجمعي، فالأمر ذاته ينسحب على المتغيرات الثلاثة للجهل واللايقين، ومنظور الاستعارة ما بعد الطبيعية بالاتجاه صوب أنظمة حاسوب الشرطة الوطنية: الصيرورة التي أصبحت من خلالها الأشياء والأحداث فوضوية وجزء من الأزمنة ما بعد الطبيعية.

إنّ غرض سياسة الأزمنة ما بعد الطبيعية يتأتى في إدراك ماهية جهلنا، الذي يشخص في ثلاثة متغيرات، هي: فهم المركب والآفاق اللايقينية التي يتم التشابك معها، ثم التنبؤ بالامكانيات المضمرة للأزمنة ما بعد الطبيعية، وأخيراً القدرة على رسم تصوّرٍ فعّالٍ وبراجماتي في المستقبل، حتى لو كان غير مقبول.

تُركّز مكانة الإطار ثلاثي الآفاق للأزمنة ما بعد الطبيعية في حقل دراسات المستقبل على وجود البدائل، ويبدو أنّ الكثير من الأساليب والمنهجيات للمستقبل، والتنبؤ نادراً ما تنخرط بصورة بنوية في التعددية والتنوع، فيما يخص الأطر التي

تستند عليها، وقلة قليلة يركزون على الماهية الديناميكية والدمج للفرص المستقبلية. إنَّ الإطار العام للأزمنة المستقبلية ثلاثية الأبعاد يقدم منهجاً متعدّد الأوجه، والذي يستطيع أن يكون أداة فعّالة لنقد وسبر أغوار الأزمنة المستقبلية الحاسمة. ويمكن للأزمنة المستقبلية ذات الأفق الثلاثي أن تُسَخَّر بوصفها أداة تحليلية لتحديد سياق الاتجاهات، والقضايا المتسجدة، وتصورات المستقبل، ونعتقد بأنها يمكن أن تكون أداة تكميلية للعديد من المناهج والبحوث المستقبلية.

وفي خِضمّ الأزمنة ما بعد الطبيعية، يتطلّب تجاوز حدود المعقول ضرباً جديداً من التفكير المقرون بالأصالة والخيال، ولا بدّ لنا أن نكون قادرين على التعامل مع المعرفة المعقدة وغير المكتملة. ولهذا، فلا بدّ لمنهجنا أن يكون أصيلاً ومتجذراً وبسيطاً حتى يتسنى له أن يكون واقعياً وفعّالاً. إنَّ مثل هذا التوجّه من الإطار الزمني ذي الآفاق الثلاثية يقودنا إلى التفكير اللامألوف.

المراجع

- (١) هينشي، ن. "عقلنة الدراسات المستقبلية"، البدائل: تصورات حول المجتمع والبيئة، مجلة **Winter**، ١٩٧٨ م.
- (٢) كريستيفا، جوليا. مفهوم الخطاب الحوارى المفتوح "Polylogue" (باريس، مطبعة Suil، ١٩٧٧ م).
- (٣) تشين، هـ. "مفهوم الخطاب الحوارى المفتوح "Polylogue" وسؤال "الهوية الثقافية".
- (٤) التبادلية" دراسات التواصل الثقافى المتبادل، العدد ١٩ (٣)، ٢٠١٠ م.
- (٥) راو، ف. "مرحى لغثيان المستقبل"، إعادة صياغة التجارب الإدراكية، ٩ أيار ٢٠١٢ م. انظر:
<http://www.ribbonfarm.com/2012/05/09/welcome-to-the-future-nauseous/> [Accessed: 10 April 2015].
- (٦) موريس، ي. المعرفة المعلومة المجهولة (Participant Media)، ٢٠١٤ م.
- (٧) جوبتا، ف. "نظرية المخاطر الحتمية المهمشة" **Black Elephants**، انظر:
Available: <http://vinay.howtolivewiki.com/blog/flu/on-black-elephants-1450> [27 Apr 2009].
- (٨) طالب، نسيم. نظرية الظواهر الطبيعية الكارثية والمجهولة "The Black Swan": أثر الاحتمالات الكبرى، نيويورك: مطبعة راندوم هاوس، ٢٠٠٧ م.

عدوى الاتصال: توضيح المستقبل ثلاثي الأبعاد

جون سويني

حتى عام ٢٠١١م، كانت مدينة لي روي في نيورك معروفةً فقط بأنها المدينة، التي شهدت ولادة الحلوى الأمريكية الطبية (Jell-O). لقد تغيّر كلُّ هذا عندما بدأت أعراض غريبة تظهر على مجموعة من المراهقين في مدرسة لي روي الثانوية، وهي أعراض التشنّج العضلي، والتشنّجات اللاإرادية، ونوبات حادة تسببت في حالات إغماء، وحالات تأتأة أيضاً، كان هذا تشخيص المرض النفسي الشائع بين الناس (MPI)*. وبينت التقارير المبدئية كيف أنّ مجموعة من المراهقين المتأثرين كانوا يشاهدون الفيديوهات على قناة اليوتيوب ويقلّدون ما يشاهدونه. يعلق الدكتور ديفيد ليتشر "أعتقد أنّ لديكم القابلية الكامنة ولكل الناس الذين يتابعون شبكة الإنترنت، ويشهدون على سلوك الطالب، وهذا الوسيط بذاته لديه القابلية الكامنة للانتشار خارج بيئته المباشرة".^(١)

يبدو أنّ تخمين الدكتور ليتشر قد آتى أكله؛ إذ أظهرت الممرضة مارغ فيتزيمونس البالغة من العمر ٣٤ عاماً، الأعراض نفسها التي أظهرها الطلبة، رغم أنها ليست على اتصال مباشر مع أيّ منهم. قام الدكتور روبرت بارتهولوميو باقتراح احتمال مشؤوم آخر: إحدى حلقات المشهد أكبر بكثير أو ربما هي حلقة كونية، ما لم يتم فهم عالم التواصل الاجتماعي (السوشال ميديا) بسرعة، ولأول مرة في التاريخ، تبدو السوشال ميديا ناقلاً وعاملاً جوهرياً في انتشار اضطراب التحول".^(٢)

إنّ أعراض الأمراض العقلية ليست ثابتة ومتغيرة، ولكن يمكن تعديلها من خلال تغيير البيئات الثقافية لها. ولو كانت الخلفيات الثقافية عاملاً مساهماً في مثل هذه الأحداث، فكيف يمكن لهذا أن يساعد المرء على فهم ما حدث في مدينة لي روي؟

* Mass Psychogenic Illness مرض نفسي جماعي (المترجم)

أصبحت النزعة الانفعالية مفهوماً شائعاً في الأوساط النظرية؛ إذ يشير إلى مرونة الأنظمة البنيوية بوصفها "أنظمة مفتوحة وسهلة الاختراق".^(٣) تتضمن النزعة الانفعالية مجموعة من الدلالات الاجتماعية والسياسية – ومن أعمق هذه الدلالات قابلية التأثر العالية للقوى الجينية لكل الفئات، التي تستخدم لتحديد وظائف الفردية، التي هي في أحسن الحالات مسألة غامضة، إذا لم تكن اعتباطيةً بأكملها.

إنَّ صيرورة التواصل المعدية هي الدافع المزعج للتحقق من البريد الإلكتروني؛ والرغبة في النقر على زر التجديد في كل ما يستجد في صفحة الوسائط الاجتماعية عندما تقوم بتحميل الصفحة للتو.

هل يمكن للنزعة الانفعالية أن تفسّر انتشار المرض في مدينة لي روي؟ وهل تملك شبكة التصفح العالمية (WWW) القدرة على إصابة شخص ما بالعدوى؟ هل ثمة صيرورة للاتصال يمكن استغلالها أو حتى تسليحها؟ وبالتوسل بمنظار نظرية الأزمنة ما بعد الطبيعية، لسر أغوار الاتصال المعدي لشبكة التصفح العالمية، تستخدم هذه الدراسة منهجية تنبؤية جديدة، لكشف بواطن القوى والقضايا التي تحرّك وتثقل كاهل شبكة التصفح العالمية في السنوات القادمة.

ولكن ما هي ماهية الأزمنة ما بعد الطبيعية؟ وبصورة كلية، تتطلب الأزمنة ما بعد الطبيعية منهجيات جديدة للاستقصاء والتحليل المعرفي، من أجل التعامل مع الفوضى، والتناقضات، وتعقيدات الحياة في زمن من التغير واللايقين المتعنت. إنَّ ثالث الإطار المستقبلي هو طريقة لنمذجة هذه الديناميكيات، وتقديم إطار ومنهجية أكثر صرامةً وجرأةً لأبحاث الأزمنة المستقبلية. وتتوسل منهجية ثالث الإطار المستقبلي بظاهرة أو موضوع منفرد، وهو في هذه الحالة يتضمن النزعة الانفعالية وشبكة التصفح العالمية (WWW)، لسر أغوار الاحتمالات التي يمكن أن تظهر أمامنا مستقبلاً.

وعليه، فإنَّ السيناريوهات التي تشخّص هنا لاستخدام منهجية الإطار ثلاثي الأبعاد للمستقبل تركّز على القضايا الناشئة، التي تروم طرح الأسئلة والقضايا غير المتنبأ بها.

تعمية العضلات والكوارث الكبرى المجهولة للحاضر الممتد

أجرى موقع إنترنت دراسة استطلاعية لـ ٢,٤٠٣ من الآباء عن استخدام الأجهزة مع الأطفال صغار السن. واعترف ٨٦٪ منهم باستخدام أجهزة الهاتف الذكية لتهدئة ورعاية الأطفال المنزعجين.^(٤) وقد شجعت الأكاديمية الأمريكية لطب الأطفال الآباء على "تثبيط تعريض الأطفال الذين تقل أعمارهم عن ستين لشاشات شبكة التواصل الاجتماعي".^(٥) وبما أن الانتشار المفرط لأجهزة الهاتف والألواح الذكية هي ظاهرة حديثة إلى حد ما، فلا توجد دراسات ذات مدة زمنية طويلة يمكن أن تؤصل أو حتى تتكهن بالآثار والعواقب بعيدة المدى. وما هي صيرورة الاتصال المعدية التي يمكن أن تنبجس من مثل هذا الانتشار الافتراضي.

الأزمة المستقبلية لنظرية Black Swans (مخاطر المستقبل المجهول)

ثمة سيناريوهات لا حصر لها لمستقبل عالم الإنترنت. وبما أن صور مستقبل الإنترنت تركز على القدرة على دخول الإنترنت، والخدمات، والبنية التحتية، ويمكن لنظرية البجعيات السوداء (مخاطر المستقبل المجهول)^{*} في ظل هذا الأفق أن تتقاطع مع

* تعود إشارة البجعة السوداء The Black Swan لأول مرة للشاعر الروماني جوفينال، الذي عاش في أواخر القرن الأول الميلادي، وأوائل القرن الثاني؛ إذ قام بذكر عبارة البجعة السوداء في قصيدة الهجاء السادسة. والطريف أن المتعارف عليه قديماً أن ريش البجع أبيض، فجاءت عبارة البجع السوداء دلالة على وجود طائر نادر، وقد يكون مستحيل الوجود، وفي مفارقة مجازية للحديث عن الزوجة المناسبة للزواج. جاء بعد ذلك المكتشف الأوروبي فيليم دي فلامينج Wellem de Vlamigh في نهاية القرن السابع عشر، ليسجل تاريخياً أنه شاهد بجعاً له ريش داكن أقرب للسواد في قارة استراليا. ثم ترسخت استعارة البجعة السوداء للدلالة على هشاشة أي فكر أو نظام يتكى على أغلوطة افتراض وهمي، وصارت دلالة على أن عدم معرفة الشيء ليست دليلاً على عدم وقوع الحدث مستقبلاً. ثم جاء عالم الاقتصاد نسيو نيكولا طالب ليقوم بترسيخ هذا المصطلح في الاقتصاد المالي للدلالة على ثلاث خصائص له:

- ١ - أنه ظاهرة نادرة، ودرجة احتمالية حدوثها مجهولة.
- ٢ - تكون هذه الظاهرة متطرفة وذات أثر مهول عند حدوثها.
- ٣ - ورغم ظهورها الجلي، تتكون التفسيرات حولها بعد حدوثها، ولهذا تصبح جزءاً من الظواهر التي يمكن التنبؤ بها مستقبلاً.

انظر: kcalB | tneve | noitinifeD | yrotsiH,selpmxE & scaF | acinnatirB (المترجم)

التأثيرات المحتملة للشبكة العالمية لتصفح الإنترنت. ونظراً للاهتمام الواسع الانتشار، الذي شكّل أهمية بالغة في توفير الأمن لعالم الإنترنت -من الخصوصية الشخصية وحتى الحرب السيبرانية- مما ولّد عاملاً غير متوقّع، والذي يمكن أن يُشكّل دافعاً باتجاه الأزمنة المستقبلية.

يقدّم سيجينيو بريزينسكي رأياً شاملاً وكلياً عن مجموعة من احتمالات المستقبل، يكتب بريزينسكي، "فإنه من الممكن استغلال ثمار البحث حول الدماغ والسلوك الإنساني لغايات استراتيجية وسياسية" (...). ويمكن للمرء أن يطور نظاماً قد يُضعف أداء الدماغ لعددٍ مهولٍ من السكان في مناطق محدّدة، وفي فترة زمنية ممتدة" (...).^(٦)

"لم يُسفر هجوم تدميري آخر عن وجود سياسات الوعي بالمعلومات العصبية الشاملة فحسب، بل شرّع استراتيجيات الحرب للسيطرة على عقل العدو. إنّ عقاقير تغيير العقل وتسليح التقنيات العصبية قد أصبحت جزءاً من العمليات العسكرية المتعارف عليها. وماذا لو تحوّل الاهتمام للجهات الفاعلة غير الحكومية من استخدام الأسلحة النووية والبيولوجية والسيبرانية إلى الأسلحة العصبية والجسدية السرية؟ هل يمكن لأي أحد أن يُسلّح شبكة التواصل الاجتماعي في عالم الإنترنت؟

الأزمنة المستقبلية اللامتوقعة والكوارث المستقبلية المجهولة

تضمّن عددٌ سكان جرين بانك في فيرجينيا الغربية طوال العقد الماضي إلى ١٤٧ مواطناً. وقد تمّ نقل عمليات الإنشاء لشبكات الإنترنت الأخيرة في القرية بسبب موقع المجتمع داخل المنطقة الهادئة للإذاعة الوطنية (NRQZ). ولكن كيف يمكن للناس أن لا يضيّقوا ذرعاً بالحياة دون الوصول إلى شبكة التصفح العالمية؟ وبالرغم من أنّ الحساسية الكهرومنغناطيسية المفرطة EHS قد بقيت متلازمةً طبيّةً غير معروفة، فإنّ العديد من الأشخاص قد بلّغوا عن أمراض

جسدية بناء على درجات متعددة من الحساسية للحقول الكهرومغناطيسية EMF. وفي حال لم يكن ضحايا الحساسية الكهرومغناطيسية المفرطة حساسين للحقول الكهرومغناطيسية EMF، بل بالوجود المتصور لهذه الحقول، فإنّ علم الأمراض في هذه الحالة هو شكّل من المرض العصبي الجسدي الحادّ، وهو تأثير لصيرورة الاتصال المعدي. وماذا لو ظهرت حلقة تغذية مرتدة تحيط بالتأثيرات المتخيلة للحقول الكهرومغناطيسية؟ وهل يمكن توسيع دائرة المنطقة الهادئة للإذاعة الوطنية NRQZ؟ وهل ثمة احتمالية أن يُصبح المصابون لاجئين؟ وكيف تصطدم المصالح الوطنية والدولية وتتنافس على الآثار، التي أصابت الصحة العامة؟ ومن الجليّ جداً أنّ مثل هذه التساؤلات لم تعد خارج نطاق التخيل، إلا أنّ العواقب المحتملة تتطلّب من المرء مواجهة صيرورة اللامتوقع.

سيناريوهات الحاضر الممتد

اجتاح وباءٌ غامضٌ آلاف الأطفال في ٢٧ بلداً؛ إذ أظهروا مجموعةً من السلوكات غير الطبيعية – بدءاً بالتشنجات اللاإرادية وحتى حالات متلازمة الجامود اللاحركي.* وكان القاسم المشترك الوحيد الذي يربط بين المصابين، هو استخدام تطبيق تعلّم لغة شائعة للطفولة المبكرة، والذي أصبح ظاهرةً عالميةً في عام ٢٠١٨م. وفي منتصف عام ٢٠١٩م، تم تسجيل ملايين حالات التنزيل لهذا التطبيق، رغم أنه أثار تحذيرات من قبل خبراء طبيّين عبّروا عن قلقهم فيما يخصّ واجهة التطبيق التي تسرق انتباه الأطفال، وطبيعة اللعبة التي تسبب الإدمان. ولم تخلص التحقيقات التي أجريت على يد مركز التحكّم بالأمراض عن أية نتائج قطعية، وقد أجرى القادة السياسيون العديد من جلسات الاستماع في محاولة، لتهدئة الناخبين الساخطين.

* يظهر الشخص جامداً مثل التمثال لا يتحرك، ولا يتكلم، ولا يبادر بأي رد فعل لأي منه خارجي. (المترجم)

الأزمة المستقبلية المألوفة

وعقب إطلاق آلاف من الوثائق الحكومية السرية، التي تسببت بفضيحة مدوية؛ أشعل أحد التقارير شرارة الغضب بين الآباء المفجوعين، الذين فقدوا أبناءهم خلال الوباء الغامض الذي اجتاحهم خلال العقد الماضي. ويبين التقرير تورط الحكومة في المساعدة في بحث وتطوير التلاعب بتكنولوجيا عصبية انفعالية عبر مجموعة من الواجهات للوسائط الإلكترونية، التي استخدمت لاحقاً لبناء تطبيقات التعلم للأطفال. ويبن التقرير كذلك، كيف أن هذه التقنية كانت جزءاً من مجموعة بيانات سرية قد فقدت خلال هجوم سبراني مهول في عام ٢٠١٨م، وما زاد الطين بلة، أن جماعة بارزة متطرفة في المنطقة أعلنت القتال وصّرت بكل حماسة كيف أن "سلاحاً جديداً" سوف يضمن انتصارها، ويسمح لهم بشن هجوم كبير وواسع النطاق خارج حدودها.

الأزمة المستقبلية غير المتوقعة

بدأت وسائل الإعلام بنشر تقارير عن محتوى فيديو تمّ استرداده من جماعة متطرفة أعلنت الهجوم على مدينة نيويورك متوسلة بسلاح غير مرئي، ولا يمكن كبح جماحه، فذبّ الذعر بين الجماهير. وبناء على التكهّنات المتفشية والحذر من الانتشار المشبوه في الماضي القريب، والتي تضمن المعلومات التدميرية عبر عدد من الوثائق المسربة، تحوّل الذعر إلى رهاب؛ إذ قام الآلاف بالبحث عن الرعاية الطبية لعدد من الأعراض، رغم أن الشهادة الصحية للغالبية العظمى منهم كانت إيجابية. يبدو أن المجموعات الإلكترونية المتضررة قد تنامت بصورة كبيرة وأصبحت مدفوعةً بفرضية مفادها أن حماية الفرد لنفسه من الإلكترونيات، لا سيما الأجهزة التي يتحكم بها الإنترنت يمنحهم شعوراً بالراحة. وما بدأ كهجرة بعض العائلات بسرعة قد تحوّل إلى هجرة الآلاف الباحثين عن ملاذ.

التحكّم بالأزمة المستقبلية وتقييمها

وعلى غرار العديد من الشبكات، التي أصيبت بعدوى فيروس الحواسيب، فإنّ طبيعتنا البشرية سهلة الاختراق، وهي أيضاً عرضة للحوادث، ولكن نزعة التأثير الانفعالية للحوادث المصطنعة هي الطريقة الوحيدة لقراءة ديناميكيات انتشار المرض النفسي الشائع في مدينة لي روي MPI، وتعرض الأطفال لواجهات شبكة ويب العالمية (www)، واحتمال استخدام الجهات الفاعلة غير الحكومية للسلاح الجسدي والعصبي، واحتمالية زيادة الحساسية الكهرومغناطيسية EHS، وتحولها إلى مشكلة صحية عامة كبيرة. وغالباً ما يوظّف البشر أدوات معينة لإذكاء حدود وجودنا في العالم، ولكن أصبحت أدواتنا بصورة متزايدة أشبه بالأطراف الصناعية، التي تبدو ظاهرة للعيان بسهولة، والتي تشي بمجموعة من الاحتمالات المتطرفة، التي تتكىّ نزعتها الاجتماعية على عدد لا حصر له من الأشياء.

المراجع

- (١) مسؤول تلفاز بوفالو في نيويورك. "هل يقع اللوم على الشبكات الاجتماعية بسبب انتشار مرض بلدة لي روي في نيويورك؟" شباط ٢٠١٢ م. انظر:
<http://www.wkbw.com/news/Social-Networking-to-Blame-for-Spreading-LeRoy-Illness-138821059.html>
- (٢) ديمون، ل. "أي شعوزة هي شبكة الفيسبوك؟"، صحيفة *The Atlantic*، أيلول ١١، ٢٠١٣ م. انظر:
HYPERLINK "<http://www.theatlantic.com/health/archive/2013/09/what-witchcraft-is-face%20book/%20279499/>" "<http://www.theatlantic.com/health/archive/2013/09/what-witchcraft-is-face book/ 279499/>
- (٣) سويني، ج. أ. وويبي، أ. م. وسائل الإعلام المتحولة. ملاحظات ألفت في محاضرة في الشبكات الاجتماعية (Cham: Springer International Publishing, 2015). <http://link.springer.com/10.1007/978-3-319-07809-0>
- (٤) أموديو، مي. "جليسات الأطفال ذوات التقنيات التكنولوجية الراقية: الوسائل الذكية كأداة جذب انتباه للأطفال الصغار"، حزيران ٢٧، ٢٠١٣ م. انظر:
<http://zone.tmcnet.com/topics/articles/343806-hightech-babysitters-gadgets-as-attention-grabberslittle.htm>
- (٥) مجلس الاتصالات والإعلام، "الأطفال، المراهقين، والإعلام"، مجلة علم الطفولة *PEDIATRICS*، العدد ١٣٢ (٥)، ٢٠١٣ م، ص ٦١ - ٩٥٨. doi:10.1542/peds.2013-2656
- (٦) برينزيسكي، كو. ز. بين جيلين: الدور الأمريكي في حقبة التغيرات الثقافية بفضل التكنولوجيا والاتصالات، نيويورك: مطبعة الفاينكنج، ١٩٧٠ م.
- (٧) دوناجان، جي. ف. "سياسات العصر العصبي المركزي"، مجلة الدراسات المستقبلية، العدد ١٥ (٢)، ص ٥١ - ٧٧.

الجهل، اللايقين، وسؤال "ماذا لو؟"

جيروم رافيتز

هنالك إقرارٌ شبه عالمي بأنَّ جوهر المشروع العلمي لم يعد متعلقاً بالاكشاف. وتنبتُ المشكلات الرئيسة للعلوم في الزمن الحاضر من التحديات (والأخطار)، التي تتجلى بفعل النمو الأعمى، الذي لا يمكن كبح جماحه لنظامنا العلمي والتكنولوجي الصناعي، فلنتأمل الجملة التالية:

"إنَّ البحثَ عن الحقائق البسيطة قد يحجب اللايقين للحقيقة بفعل قضايا معقدة، مثل تأثير النشاط البشري على البيئة الطبيعية. وتقريباً كلُّ شيء نقوم به، ونستهلكه أو نتعرّض لجملة من المخاطر، فلا بدّ أن نتخذ قراراً فيما يخصّ نوع المخاطر، التي يجب أن نتصدّى لها، بما فيها الأولويات، والطرائق المتبعة، ومدى هذه المخاطر، والكلفة. ولا شك أنَّ العلوم البيئية معقدة؛ فوصف البيانات التقنية وتقييم المخاطر بالتفصيل أمر صعب، لكنه يعكس واقعَ الخيارات التي يجب أن يتخذها المجتمع، ولا يمكن أن تكون هذه القضايا بسيطة، والعلوم لها أهمية كبرى".

يعود هذا الاقتباس للدكتور كريس فاي، وهو رئيس مجلس الإدارة والمدير التنفيذي لشركة شيل المحدودة في المملكة المتحدة. لقد تلقى دكتور فاي تعليماً ليس متاحاً بسهولة في حرم الجامعات حول المشكلات الاجتماعية والمعرفة العلمية، لكنه استقى هذه المعرفة، بصورةٍ غير متوقعة، في خضمِّ تجربته العملية.

يُذكرنا هذا الاقتباس بأنَّ فقدان اليقين وتدخل الأخلاق هي مسألة جوهرية لهذا العَرَض المرضي للعلم. ومن خلاله، حدث فقدان لهيمنة الخبراء العلميين في مجال النقاش والمناظرات العلمية المتعلقة بأسئلة السياسة. وتم جعل الموضوعية مشكلة بدلاً من جعلها أساساً للعلوم، ونحن نتوسل بمصطلح "العلوم ما بعد الطبيعية" لتقديم موقع تاريخي لمثل هذا النمط الجديد من العلوم.

أُسْئَلَةُ جَوْهَرِيَّة

ومن خلال قبول فكرة اختلاف أنماط البحث العلمي، نستطيع أن نستأنف التصنيف التالي، والذي تم تأطيره حول الأسئلة الجوهرية. وقد نبدأ بثلاثة أشكال من الاستقصاء، التي نسميها: البحث، والتصميم، والاستكشاف.

وفي كلّ شكلٍ منها، لدينا أسئلة ذات جدوى: على التوالي، "ماذا؟" / "كيف؟"، "كيف؟" / "ماذا؟" و "ماذا-لو؟"

تروم هذه الأسئلة الجوهرية تسليط الضوء أكثر من تعريف المصطلح، وتتيح لنا عبارة "السؤال التوجيهي" القدرة على تخيل أيّ سؤال استقصائي، وهنا تشخص لنا الأشكال الثلاث من هذه التساؤلات في مكانها المناسب.

وفي سياق التحديات الجديدة للعلم، فقد أصبح سؤال: "ماذا لو؟" سؤالاً توجيهياً، وفيه راهنية جديدة. ولم يعد جهلنا اليوم أمراً محموداً، بل هو مصدر تهديد. ولعله لا يعني شيئاً لبعضهم أو الغالبية أو حتى لجميعهم في هذا الزمن؛ وربما يعني بعض الشيء ذات مرة، أو حتى مرات عدة.

وبالتوسل بسؤال "ماذا-لو؟" بوصفه سؤالاً توجيهياً رئيسياً، يمكن لمفهوم المشروع العلمي برمته أن ينضج بطريقة مثمرة. وتصبح المهمة هنا هي التأكد من أنّ صيرورة اللايقين للبيئة العملية للنظام تدسّ نفسها في النظام فقط بدرجة مقبولة؛ إذ يتأتّى لتمرير حلّ المشكلات أن يتعامل بصورة رئيسة مع وكلاء معرفين بصورة جيدة للواقع المجهول.

وعلاوة على أنّ العالم الواقعي مجهولٌ وغير مؤكّد، فنحن بحاجةٍ للتعامل بصورة فعّالة مع واقعه المعقّد. لقد اجتاحت مثل هذه الطريقة ثقافتنا العلمية والتكنولوجية برمتها. وعندما نصبح معتادين على طرح سؤال "ماذا-لو؟"، وتوقع اللامتوقع، نصبح قادرين بصورة كاملة على تقدير أنّ منظوراً واحداً لا يمكن له أن يحيط بأي موقف واقعي.

ثمة آثار مهمة لتبني سؤال "ماذا-لو؟" بوصفه أسلوباً علمياً فيما يتعلق بصيرورة السياسات. ونحن نعلم في الوقت الحاضر أن تطبيق العلم على السياسات هو أمرٌ مختلفٌ جداً عن مجرد صيرورة مبسطة للحصول على الحقائق، وإنّ ضمان هذا الأمر يتطلب سياقاً أولاً للزمان والمكان للأولويات، التي يمكن أن يدعمها هذا البحث. ومن ثم، فإنه يصبح لازماً تصميم هذا البحث ضمن إطار أسئلة مناسبة؛ فكل قضية متعلقة بالسياسات هي مسألة معقدة، والتي تشمل مظاهر الطبيعة والمجتمع؛ إذ تكون أسباب المشكلة معقدة بالتساوي.

إنّ أسلوب سؤال "ماذا-لو؟" هو تعبير عن مبدأ توخّي الحذر؛ فهو يحمي العلماء من الاختيار السابق لأوانه والمتعجل لمشكلات البحث، التي يتم دراستها بصورة استقصائية. ولتخيل حواراً متواصلاً بين المشاركين لمختلف أشكال أنواع الاستقصاء. ورغم أن سؤال "ماذا-لو؟" ينبثق من الصدارة في الوقت الذي يتم فيه البدء بالجهود البحثية، فإنه حريٌّ بأن يتمّ تعزيزه بوصفه أداة تكميلية أساسية لحلّ الألغاز، التي تتفرّع منها الحقائق ذات الصلة.

وأخيراً، ثمة مآلات اجتماعية لسؤال "ماذا-لو؟"؛ إذ لا بدّ من استدخال الرؤى والاقتراحات من قبل أناس ذوي خبرات متنوعة أو حتى بدون خبرات في أي حوار. ولأنّ الكثير من أسئلة "ماذا-لو؟" هي أسئلة تُذكّنها بيانات غير تقليدية، فإنّ تبني أسلوب سؤال "ماذا-لو؟" هو أمرٌ منفصلٌ عن الاعتراف بالحقائق الممتدة، ومجتمعات معرفية للتقييم العلمي والسياسات العلمية تسمى (extended Peer community)*، ومنهج العلوم ما بعد الطبيعية.

* إن مفهوم مجتمع العلماء الممتد (Extended Peer Community) هو مفهومٌ سوسيولوجي للعلوم، وتوظيفها في حلّ المشكلات البيئية، والسياسية. لقد تمّ نحتُ المصطلح عام ١٩٩٠م من قبل سيلفيو فونتوفيتش وجيروم رافيتز، وصار جزءاً بنوياً من نقاشات العلوم ما بعد الطبيعية. انظر المرجع التالي:

Funtowicz, S. O. and Ravetz, J. R., 1991. "A New Scientific Methodology for Global Environmental Issues", in Costanza, R. (ed.), Ecological Economics: The Science and Management of Sustainability: 137–152. New York: Columbia University Press. (المترجم)

الخاتمة: سياقات سؤال "ماذا- لو؟"

ماذا عن "العلم النقدي" الذي كان سائداً لدى الجيل السابق؟^(١) هنالك عاملان مرتبطان لقيامي بالتخلي عن مثل هذا المنهج الميسر. ولردح من الزمن، عندما كان واقع المجمع العلمي الصارم اكتشافاً جديداً لعدد كبير من الجمهور، كان ممكناً تنظيم حركة جذرية حول العلم نفسه. ورغم ذلك، لم يكن بالإمكان الاحتفاظ بهذه الحماسة. وفي الوقت نفسه، فقد تغيرت السياسات. ولو قدر للعلم أن يُصبح مسألة مركزية في خضم هذا السياق الجديد، فسيكون الجدل مرتكزاً بصورة أكبر على أسس فلسفية بالمقارنة مع المظاهر التوزيعية.

تجلى هذا التركيز في حملة ضياء الدين سردار من أجل "الآخرين".^(٢) وفي الوقت الذي نضجت فيه الحملة، لا بد أن تُؤتي أكلها من خلال قدرتنا على "رؤية أنفسنا كما يرانا الآخرون". وعلى هذا الأساس، قد نتمكن من تحقيق الإصلاح الضروري للعلوم، في خضم وظائفه الاجتماعية، وأساليبه العملية، وأدواته المفاهيمية. وقد يحدث في وقتنا الحاضر تطورٌ تكامليٌّ للثقافة الطارئة، وفي خضم التوجهات الموسومة بأسماء متعددة مثل "الثقافة الخضراء"، "النسوية" أو "العصر الجديد". فإن تعدد الأسماء هنا يدل على خصوبة التنوع لكثير من القضايا والأنماط، وبعض التقاطعات، ولكن بعضها تبدو مسميات عداية ومتناقضة. وأي رؤية متجانسة للعلوم تتكى على جزء واحد من الحراك المتنوع قد تعزل بالتأكيد معظم الأجزاء الأخرى بصورة معينة.

المراجع

- (١) رافيتز، جيروم. "العلوم النقدية: السياسات والفلسفة"، في المعرفة العلمية ومشاكلها الاجتماعية، نيوبرونزويك، نيوجيرسي: مطبعة Transaction Press، ١٩٩٦م.
- (٢) سردار، ضياء الدين. "الفتوحات، الفوضى، التعقيد. الآخر في العلوم الحداثية وما بعد الحداثية"، مجلة الدراسات المستقبلية، العدد ٢٦ (٦)، ١٩٩٤م.

تلك هي أرض التين: اكتشاف المجهول الذي نجهل أننا نجهله

شيرين إيلاهي

مقدمة

نقشت على مجسم خريطة الكرة الأرضية ثلاثي الأبعاد "لينوكس جلوب" العبارة الموحية التالية: "تلك هي أرض التين"؟ وقد أستخدمت عبارة "تلك هي أرض التين" للدلالة على مناطق خطرة ومجهولة. ولكلّ مستخدم لمجسم الخريطة، فإنّ فهم حدود المعرفة يحمل الأهمية ذاتها، التي تحملها المعرفة ذاتها. لقد كان وهم المعرفة هو الخطر الأعظم على الإطلاق.^(١)

وفي العالم المعاصر اليوم، أين هي "المشكلات المجهولة" أو ما يُسمّى استعارةً وحوش التين؟ يبدو أنها تتجلى حولنا في كلّ مكان. وفي كلّ حادثة، تتمثّل وحوش التين أو المناطق غير المكتشفة بوصفها نقاط التعمية غير المعترف بها؛ إذ ترصد الحدود العلمية، والجغرافية، والزمانية، والمؤسسية، ولكنها غير معترف بها؛ بسبب التحديات التي تمثلها قباله الرغبة الإنسانية لتحقيق النظام والسيطرة.

أمثلة على المناطق والظواهر الخطرة وغير المكتشفة

لا توجد بحوث كافية عن موضوع هذه الظواهر والمناطق الخطرة، وغير المعترف بها. تقدم هذه الورقة ثلاثة أمثلة، هي "المشكلات المستعصية"، و"الظواهر الكارثية غير المتوقعة (black Swans)، و"العلوم ما بعد الطبيعية".

"المشكلات المستعصية على الحل"، أو المشكلات الغامضة، وهي معضلات لا فكّاك منها، و مترابطة بصورة معقدة. إنّ طبيعتها المتغيرة وعلاقاتها المتشابكة المعقدة تجعل من المستحيل تعريفها بصورةٍ جمعيّة؛ لأنّ الكثير من المنظورات والقضايا المتعلقة بها على المحكّ.^(٢) إنّ الظواهر الكارثية بطبيعتها لا يمكن التنبؤ بها، وهي حادثة غير محتملة تميّز، بآثيرها المهول على الوضع الراهن.^(٣)

وتتميّز العلوم ما بعد الطبيعية بالمخاطر العالية، والحقائق غير المؤكّدة، والقيم المتنازع عليها والقرارات الطارئة. وفي هذه المواقف، فإنّ القبول ثنائي الأطراف منخفض أو غير موجود، والبنى النظرية تعتمد على العمليات الإحصائية ومدخلات البيانات، ويجنح اللايقين باتجاه الجهل.

والجميع يتعامل مع التفاعلات المعرفية بين الأنظمة المتصلة والمتشابكة مع فاعلين متنوعين. وعليه، تصبح المعلومات دوماً ناقصةً. ثمة شبه آخر رئيسي، وهو قدرة هؤلاء الفاعلين على تحدي نمط التفكير التقليدي والوضع الراهن.

التعرّف على الظواهر الخطرة المجهولة

تأمر علم النفس البشري، والأطر المؤسسية والتقليد العلمي من أجل التخلص من الظواهر الخطرة غير المكتشفة من الوعي الجمعي، ويتمّ التصديّ لمثل هذا الأمر، من خلال التوسّل بأدوات رقمية، وعمليات معقّدة جاهزة تعتمد على التأطير المجتمعي. وبهذا، يصبح من الممكن استدخال قيم ثقافية وعالمية متباينة، يمكن لها تحقيق نوع أوسع من التشريع المجتمعي، والاعتراف من أجل المزيد من الظواهر الكارثية المجهولة.

ويبقى السؤال الجوهرى الذي مفاده، فيما لو أنّ هذه الأدوات الرقمية والعمليات التقنية المعقّدة، يمكن أن يتأتى منها زيادة الوعي والاعتراف بمثل هذه الظواهر الكارثية المجهولة. ومن خلال استخدامها بالتشارك مع سيناريوهات وأنظمة تنبؤ مستقبلية، تضمن لنا مثل هذه الأدوات الخروج بخرائط ذهنية جمعية.

سيناريوهات على هيئة تحليل ما وراء الخطر

يتيح لنا التنبؤ بالمستقبل تحيّل ما لم يحدث لحماية أنفسنا من الوقائع القاسية للتجربة الحقيقية، ونتبنّى صيرورة هذه التجربة من أجل فهم وتشكيل الاتجاه، الذي قد يسير من خلاله المستقبل.

إنّ سيناريوهات منهجية التنبؤ بالمستقبل تُعنى باكتشاف صيرورة التعقيد وأنظمة العقائد المتصارعة، وتقدم هذه السيناريوهات وسيلةً لاكتشاف اللاحقين، وتوليد الفهم المشترك للديناميكيات البنوية والقضايا التي قد تؤثر على المستقبل.

لم تكن هنالك حاجة قط للتكيف الاجتماعي في مواجهة التغيرات الهائلة؛ لأنّ المجتمعات مترابطة ومتشابكة بصورة معقدة، وهنالك حاجةٌ كبيرةٌ للصمود في وجه التحديات، ولكن هذا يتطلب الاعتراف بالظواهر الكارثية المجهولة والاستراتيجيات للتعامل مع واقعها المادي.

الخلاصة

حان الوقت للاعتراف بوجود الظواهر الكارثية المجهولة، واستكشاف أيّ منها يمكن أن يشكل الخطر الأكبر على المجتمع، الذي نبتغيه لأنفسنا ولذريتنا. وفي كثير من الأحيان ثمة محو للجهل، واللاحقين العلمي، والغموض من خرائطنا المعرفية، فالعالم يتغيّر إلى الأبد. إنّ الظواهر الكارثية غير المكتشفة بعد تحيط بنا من كلّ حدبٍ وصوبٍ، واتكاء البشر على الشبكات المعقدة من الأنظمة المتصلة، جعلهم يتجاهلون مثل هذه الظواهر، التي عليهم أن يتحمّلوا مآلاتها الخطيرة مستقبلاً.

المراجع

- (١) رافيتز، جيروم "المعرفة القابلة للتطبيق، والجهل القابل للتطبيق: العلوم غير المكتملة وسياسات تطبيقاتها"، مجلد التنمية المستدامة للبيئة الحيوية، تحرير: و.س. كلارك، و.ر.س. مون، نيويورك: كمبردج، مطبعة جامعة كمبردج، ١٩٨٦م.
- (٢) ريتيل، هـ. وم. فيبر. معضلات في النظرية العامة للتخطيط، علوم السياسات، المجلد (٤)، ١٩٧٣م، ص: ١٥٥-١٦٩. أكوف، ر. إعادة صياغة المستقبل: منهجية الأنظمة لحل المشكلات الاجتماعية، نيوجيرسي، مطبعة جون ويلي وأبناؤه، ١٩٧٤م.
- (٣) طالب، نسيم. نظرية الكوارث المستقبلية المجهولة، لندن: مطبعة آين لين، ٢٠٠٧م.

المكان والزمان

علامات تجريبية للأزمة ما بعد الطبيعية

ضياء الدين سردار

يطلُّ علينا سؤالٌ طبيعيٌّ من منظور الأزمة ما بعد الطبيعية، لو أنَّ الأزمة ما بعد الطبيعية حقبة زمنية مركزية للتاريخ، وتشكّل تحولاً مهماً بالمقارنة مع الفترات الزمنية المعاصرة للتاريخ، فما هي العلامات التجريبية والسمات الفريدة، التي يمكن أن تُنتجها أو يحتمل أن تنتجها "الطاقات الكامنة"، على طريقة الرطانة اللغوية المعتادة؟ وأيِّ تلك السمات تميّز هذه الحقبة بوصفها حقبةً تاريخيةً جليّةً ومختلفة؟

ولو أنَّ هذه الأزمة ما بعد الطبيعية قد ولّدت إماراتها التجريبية الخاصة بها، فيجب علينا أن نميّزها من سمات الفترات الزمنية الحديثة بوصفها عصرًا حديثًا أو ما بعد حديثي.

ولنقسّم هذه الحقبة لأربعة أقسام، لغايات هذا التمرين الفكري:

- الحقبة الكلاسيكية: ١٩٢٩-١٩٥٠ م.
- الحقبة الحديثة: ١٩٥٠-١٩٧٥ م.
- الحقبة ما بعد الحديثة: ١٩٧٥-٢٠٠٥ م.
- الحقبة ما بعد الطبيعية: ٢٠٠٥ م.

إنّ مثل هذا التقسيم هو بلا شك تقسيمٌ اعتباطي كإحدى المحاولات الأخرى، لتبويب التاريخ في نطاقات مسّاه. لكنّ الفكرة تكمن في أننا نستطيع تحديد مثل هذه العلامات التجريبية ونبصر، فيما لو أنَّ الأزمة ما بعد الطبيعية يمكن أن تولّد شيئاً ما مختلفاً وواضح المعالم.

المعنى

- الحقبة الكلاسيكية: "أنا أفكر إذن أنا موجود".
- الحقبة الحديثة: "أنا أتقدم، إذن أنا موجود".
- الحقبة ما بعد الحداثيّة: "أنا أتسوَّق، إذن أنا موجود".
- الحقبة ما بعد الطّبيعية: "أنا أشارك المعلومات، إذن أنا موجود".

الحقيقة

- الحقبة الكلاسيكية: عظيمة ومتجانسة وأحادية.
- الحقبة الحديثة: عظيمة ومتجانسة وأحادية.
- الحقبة ما بعد الحداثيّة: نسبيّة ومتعددة.
- الحقبة ما بعد الطّبيعية: الهوية المتناقضة.

الهوية

- الحقبة الكلاسيكية: "أنا التقاليد والثقافة".
- الحقبة الحديثة: "أنا العلوم والتكنولوجيا".
- الحقبة ما بعد الحداثيّة: "هويتي هي ما أشتري".
- الحقبة ما بعد الطّبيعية: "أنا حسابي الفيسبوكي".

التغيير

- الحقبة الكلاسيكية: شبه ساكنة، بطيئة.
- الحقبة الحديثة: سريعة.
- الحقبة ما بعد الحداثيّة: متسارعة بصورة مطّردة.
- الحقبة ما بعد الطّبيعية: سريعة على الدوام، فوضوية.

الأنظمة

النظام الكلاسيكي: بسيط، مغلق.

النظام الحديث: معقد، مغلق.

النظام ما بعد الحدائي: معقد، منفتح.

النظام ما بعد الطبيعي: منفتح، متصل بصورة معقدة، معقد، فوضوي.

مفاهيم أساسية

الحقبة الكلاسيكية: الغزو، التفوق، التقدم.

الحقبة الحديثة: التقدم، الكفاءة، التحديث.

الحقبة ما بعد الحدائية: تفكيك السرديات الكبرى (المعنى)، الحقائق المتعددة، الأصوات المتعددة.

الحقبة ما بعد الطبيعية: التعقيد، الفوضى، التناقض، اللايقين، الجهل.

النظام العالمي

الكلاسيكي: قوى استعمارية متنافسة (بريطانيا، فرنسا، هولندا، الولايات المتحدة الأمريكية).

الحديث: العالم ثنائي القطب، "الحرب الباردة" (الولايات المتحدة، الاتحاد السوفيتي).

ما بعد الحدائي: العالم أحادي القطب (الولايات المتحدة الأمريكية).

ما بعد الطبيعي: العالم متعدد الأقطاب (الولايات المتحدة الأمريكية، روسيا، الاتحاد الأوروبي، الهند، الصين، البرازيل).

المعرفة

الكلاسيكية: السعي وراء اكتشاف الحقائق المنطقية.

الحديثة: يكتسب من خلال التقدم والتطور العلمي.

ما بعد الحداثيّة: يتم بناؤها اجتماعياً وبصورة نسبيّة، موسوعة ويكيبيديا.

ما بعد الطبعيّة: حقائق ممتدة، حقائق ضمنية في اللايقين والجهل.

العلم

الكلاسيكي: السعي وراء الحقيقة، تتأسس بصورة واسعة من قبل الدولة.

الحديثة: المنهج العلمي بوصفه محايداً، الحقيقة الموضوعية تتأسس بوساطة الدولة والشركات (شبكة الشركات العسكرية والصناعية)، النشر من خلال المراجعات المحكمة الجادة.

ما بعد الحداثيّة: يتم بناؤها اجتماعياً، ويتم تأسيسها على نطاق واسع من قبل شبكة معقّدة من الشركات العسكرية والصناعية، النشر من خلال المراجعات العلمية المحكمة.

ما بعد الطبعيّة: "الحقائق غير مؤكدة"، القيم موضع جدل، شديدة الخطورة والقرارات طارئة، يتم التحكم بها بوساطة شركات عملاقة (شركة جوجل وميكروسوفت)، وأصحاب الملايين من المتبرعين.

التقنية

الكلاسيكية: التطبيق البطيء للعلوم لتسهيل العمل.

الحديثة: يجري التحكم بالتقنية إيدولوجياً، لتحسين مستوى المجتمع، المضادات الحيوية والأسلحة النووية.

ما بعد الحداثيّة: مستخدمة ضمناً في السياسات، تسلسل الجينوم الوراثي، التقنية البيولوجية، تقنية المعلومات والاتصال.

ما بعد الطبعيّة: التوليف بين الإنسان والآلة، تعديل الحمض النووي، الطائرات بدون طيار (المسيّرات)، الإنسان الآلي.

الطب

الطب الكلاسيكي: لا وجود للمضادات الحيوية أو أنواع التخدير المناسبة.

الطب الحديثة: "الجراحة الحديثة"، المضادات الحيوية، مراقبة تخطيط القلب (EKG)، جراحة القلب المفتوح، زراعة الكلى.

الطب ما بعد الحداثي: المراقبة الإلكترونية للمرضى، الجراحة المجهرية الدقيقة، زراعة الوجه.

الطب ما بعد الطبيعي: الجراحة عن بعد، العلاج بواسطة الخلايا الجذعية، الأعضاء الصناعية.

الاتصال

الاتصال الكلاسيكي: الهاتف، التلغراف (الإبراق)، نظام شيفرة مورس، الراديو.

الاتصال الحديث: نظام الاتصال بواسطة موجات ميكروويف، التلفاز.

الاتصال ما بعد الحداثي: الهواتف النقالة، البريد الإلكتروني، شبكة الإنترنت، شبكة التصفح العالمية (WWW).

الاتصال ما بعد الطبيعي: فوري، متصل بصورة مستمرة، قنوات إخبارية على مدار ٢٤ ساعة، الفيسبوك، تويتر، إنترنت الأشياء*.

المنظمة السياسية

المنظمات الكلاسيكية: الإمبراطوريات.

المنظمات الحديثة: الدول القومية.

* مصطلح برز حديثاً، يُقصد به الجيل الجديد من الإنترنت (الشبكة) الذي يتيح التفاهم بين الأجهزة المترابطة مع بعضها عبر بروتوكول الإنترنت، والأجهزة المزودة بأجهزة استشعار، وقدرة معالجة، وبرامج، وتقنيات أخرى تتصل وتتبادل البيانات مع الأجهزة والأنظمة الأخرى عبر الإنترنت أو شبكات الاتصال الأخرى. (المترجم)

المنظمات ما بعد الحداثية: التجمعات والتحالفات الإقليمية (المجموعة الاقتصادية الأوروبية، رابطة دول شرق آسيا، منظمة التعاون الإسلامي).
المنظمات ما بعد الطبيعية: تحولات السلطة للجهات غير الحكومية.

نظام الحكم

نظام الحكم الكلاسيكي: نظام الحكم الديمقراطي.
نظام الحكم الحديث: الديمقراطية القائمة على المصالح (الليبرالية الجديدة، نظام الديمقراطية المفرطة).
نظام الحكم ما بعد الحداثي: الديمقراطية التداولية (التنوع، التعددية، سياسات الاختلاف).
نظام الحكم ما بعد الطبيعي: نظام الحكم المعقّد، نظام الحكم الفوضوي، نظام الحكم الذي لا يقبل الإدارة.

الاقتصاد

الاقتصاد الكلاسيكي: الاقتصاد الكُلي الكلاسيكي (آدم سميث).
الاقتصاد الحديث: الاقتصاد الرأسمالي (السوق الحرة)، السوق الشيوعي (يتم السيطرة عليه بصورة مركزية).
اقتصاد ما بعد الحداثة: عولمة الاقتصاد الليبرالي الجديد (السوق الحرة، خصخصة المصادر والمؤسسات).
الاقتصاد ما بعد الطبيعي: الاقتصاد الرقمي، نظرية التوازن الاقتصادي بين العرض والطلب النقدي.

الدين

الدين الكلاسيكي: التوحيد.

الدين الحديث: التوحيد.

الدين ما بعد الحداثي: العصر الجديد، الأصولية.

الدين ما بعد الطبيعي: الدين الانتقائي، الأصولي، التعددي.

المساواة

المساواة الكلاسيكية: التمييز التشريعي، قانون رعاية الفقراء.

المساواة الحديثة: دولة الرفاه الاجتماعي، المساواة أمام القانون (المفترضة)، وهي أن زيادة ثراء الأغنياء يحسن من أوضاع الفقراء.

المساواة ما بعد الحداثية: التعددية الثقافية، الاندماج الثقافي، التماهي الثقافي.

المساواة ما بعد الطبيعية: تسارع التفاوت بين الجميع، يزداد الأثرياء ثراء بسرعة البرق.

الحدود

الحدود الكلاسيكية: ثابتة.

الحدود الحديثة: مرنة.

الحدود ما بعد الحداثية: مختزقة.

الحدود ما بعد الطبيعية: مفككة.

الطبيعة

الطبيعة الكلاسيكية: لا بد من ترويضها واستغلالها.

الطبيعة الحديثة: مروّضة، تحت السيطرة، ولكن ثمة "حدود للنمو".

الطبيعة ما بعد الحداثية: البناء الاجتماعي للطبيعة، سياسات البيئة.

الطبيعة ما بعد الطبيعية: متوحشة، التغير المناخي، انقراض أنواع العديد من الكائنات الحية (حيوانات، نباتات، إلخ).

البيئة

البيئة الكلاسيكية: صحية نسبياً.

البيئة الحديثة: ملوثة.

البيئة ما بعد الحديثة: سامة (مسمومة).

البيئة ما بعد الطبيعية: كارثية، التغير المناخي.

الإله

الإله الكلاسيكي: الإله في كل مكان، وفي كل زمان.

الإله الحديث: في بدايات العصر الحديث: الإله هو الحقيقة (المطلق)، وفي أواخر العصر الحديث: موت الإله.

الإله ما بعد الحديث: الإله هو الآلة أو الإله هو أنا.

الإله ما بعد الطبيعي: الإله هو الجهل.

الدين

الدين الكلاسيكي: الدين يفسّر العالم.

الدين الحديث: الدين يسعفنا لفهم العالم.

الدين ما بعد الحديث: الدين كان محض كذبة؛ العلانية الليبرالية هي نظرية الخلاص الجديدة.

الدين ما بعد الطبيعي: الدين هو اللايقين، لهذا لا بدّ أن يخضع لتفسيرات عديدة ويتحول إلى كينونة معقدة.

الحرب

الحرب الكلاسيكية: "الحرب العالمية الأولى".

الحرب الحديثة: "الهولوكوست" (المحرقة).

الحرب ما بعد الحداثيّة: "حرب الخليج" (كما يتم مشاهدتها على التلفاز).

الحرب ما بعد الطبعية: هجمات الميسرات، الحرب السيبرانية، الروبوتات المسلحة (الحرب لعبة، منبئة من جوهر الإنسانية).

الاحتجاجات

الاحتجاجات الكلاسيكية: العصيان المدني (حركة الحقوق المدنية الأفروأمريكية)، المقاومة السلمية (غاندي).

الاحتجاجات الحديثة: التخريب الأناركي،* المظاهرات العنيفة (الفهود السود)، الميسرات السلمية (حملة نزع السلاح النووي).

الاحتجاجات ما بعد الحداثيّة: التعبئة الجماهيرية (حملة فخر المثليين، احتجاجات حرب الخليج).

الاحتجاجات ما بعد الطبعية: تم تجييشها من قبل وسائل الإعلام الرقمية، مترابطة، معقدة، فوضوية ("الربيع العربي"، احتجاجات سائقي الشاحنات في بريطانيا والولايات المتحدة وأماكن أخرى، واحتجاجات النقل العام في الأرجنتين).

* الأناركية أو (الأيدولوجية المناهضة للسلطة) هي مدرسة فلسفية سياسية مثالية تشكك في تبرير كل أشكال السلطة وأذرعها المؤسساتية والقانونية والدستورية، من خلال تأسيس مجتمع حر يستمد قوته وهويته من مبدأ المساواة والأجندة الراديكالية الثورية، وتنظيم حياة الأفراد والجماعات من خلال العمل النقابي والتشاركي، وذلك بتعزيز اللامركزية الحكومية، وإلغاء مؤسسات الدولة التي تمارس العنف المنهجي من خلال تأصيل المؤسسات النقابية والتعاونية، والتي تدعو لمناهضة كل أشكال الهيمنة الثقافية والسياسية والدينية. تنادي الأيدولوجية الأناركية بوجود مجتمع سلمى متعاون، وقادر على حكم نفسه بنفسه من خلال التنظيم الذاتي، ورفض وجود الدولة والسلطة المركزية، وخير مثال على الأيدولوجية الأناركية ثورة العبيد في العالم القديم، وتمرد الفلاحين في العصور الوسطى، والثورة الفرنسية، والثورة المكسيكية، والثورة الروسية، والثورة الإسبانية. (المترجم)

الإرهاب

الإرهاب الكلاسيكي: الجماعات الإرهابية السياسية، الإرهاب من أجل الاستقلال.

الإرهاب الحديث: محلي، وله أغراض خاصة (الجيش الجمهوري الإيرلندي، الانفصاليون الباسكيون).

الإرهاب ما بعد الحداثي: عالمي، الانتحاريون، جهات فاعلة غير حكومية.

الإرهاب ما بعد الطبيعي: عالمي، مترابط، على معرفة عملية بارعة في استخدام وسائل الاتصال الاجتماعي، السعي للسيطرة على الأراضي.

الجسد

الجسد الكلاسيكي: عضلي.

الجسد الحديث: رياضي.

الجسد ما بعد الحداثي: يعتمد على هرمون الاندروجين الذكوري.

الجسد ما بعد الطبيعي: معزز ومدعم ومحسّن.

المدن

المدن الكلاسيكية: الميسيسيبي، كيب تاون (في ظل نظام الفصل العنصري).

المدن الحديثة: نيويورك، لندن، باريس.

المدن ما بعد الحداثية: طوكيو، دبي، بوتراجايا (ماليزيا).

المدن ما بعد الطبيعية: بغداد (بعد انسحاب الحلفاء)، القاهرة (بعد المظاهرات)، حلب، فيرجيسون [مدينة في الولايات المتحدة].

الأفلام

الأفلام الكلاسيكية: السيد سميث يذهب إلى واشنطن.*

الأفلام الحديثة: غزو سارقي الأجساد.*

الأفلام ما بعد الحداثية: الجنس، الأكاذيب، الفيديوهات.

الأفلام ما بعد الطبيعية: فيلم "هي".*

التلفاز

التلفاز الكلاسيكي: الفيلم الأمريكي الكوميدي "أنا أحب لوسي".*

التلفاز الحديث: فيلم المهمة المستحيلة.*

التلفاز ما بعد الحداثي: فيلم ستار تريك: الجيل القادم.*

التلفاز ما بعد الطبيعي: وادي السيليكون (منطقة جنوب كاليفورنيا للتقنية العالية).

الموسيقى

الموسيقى الكلاسيكية: الجاز، موسيقى بيج باند سوينج.

الموسيقى الحديثة: البوب، الروك أند رول، الديسكو، الميتال.

الموسيقى ما بعد الحداثية: موسيقى العصر الجديد، الموسيقى السيكلوجية

(التخديرية)، موسيقى دمج الشرق والغرب، الجرانج، الهاوس.

* هو فيلم كوميدي تم إنتاجه في الولايات المتحدة وصدر في سنة ١٩٣٩ (المترجم).

* فيلم خيال علمي أمريكي من نوع الرعب النفسي، صدر عام ١٩٧٨ (المترجم).

* فيلم سينائي صدر عام ٢٠١٣، يدور الفيلم حول كاتب بطور علاقة مع نظام تشغيل ذكي ذي صوت وشخصية أنثى (المترجم).

* مسلسل كوميدي أمريكي عُرض على قناة سي بي إس من عام ١٩٥١ إلى عام ١٩٥٧، وكان الأكثر شعبية في أمريكا لأربعة مواسم (المترجم).

* هو من أفلام الحركة والتجسس الأمريكية، بدأ بسلسلة من عام ١٩٩٦ (المترجم).

* هو من سلسلة أفلام الخيال العلمي، بدأ من عام ١٩٨٧ (المترجم).

موسيقى ما بعد طبيعية: لم تظهر بعد (ولكن الفرقة الكندية التجريبية " ما بعد الطبيعية" تبذل جهوداً في هذا السياق).

أبطال هوليوود

الكلاسيكيون: كلارك جابل - المقولة المشهورة من فيلم ذهب مع الريح "بصراحة عزيزي، أنا لا أكرث".

البطل الحديث: جيمس دين - "الولد الشرير من العائلة الطيبة".

البطل ما بعد الحداثي: آرنولد شوارزنججر. "إلى اللقاء يا حبيبي".

البطل ما بعد الطبيعي: جوني ديب - والمقولة المشهورة: "بصراحة لا بدّ أن تحذر من لدغة الصادقين؛ فأنت لا يمكن أن تتنبأ فيما لو أنهم عازمون على القيام بأشياء في غاية الحمق".

الرمز الجنسي

الرمز الجنسي الكلاسيكي: ماي ويست - "هل هذا سلاح في جيبيك، أم أنك فقط مسرور لرؤيتي؟".

الرمز الجنسي الحديث: مارلين مونرو - "الرجال الأكابر يفضلون الشقراوات".

الرمز الجنسي ما بعد الحداثي: مادونا - "أنا فتاة مادية".

الرمز الجنسي ما بعد الطبيعي: ليفيرن كوكس - "التظاهر بهوية جنسية مزيفة".

الجنس

الجنس الكلاسيكي: قانون هايز الرقابي لإنتاج الأفلام الأمريكية (١٩٣٠ -

١٩٦٨م) (لا وجود لأسرة مزدوجة، لا وجود لقبلاوات أكثر من عشر ثوان، لا عري).

الجنس الحديث: مطارحة الفراش لقضاء الوطر دون وجود العاطفة.

الجنس ما بعد الحداثي: الجنس عبر الإنترنت.
الجنس ما بعد الطبيعي: الأفلام الإباحية طبيعية.

الزواج

الزواج الكلاسيكي: الزواج من امرأة واحدة.
الزواج الحديث: علاقات جنسية وغرامية سريعة ومتسلسلة، ولكن ينتقل من
علاقة غرامية إلى أخرى بسرعة وبسهولة.
الزواج ما بعد الحداثي: متسلسل، متعدد، أحادي (من امرأة واحدة).
الزواج ما بعد الطبيعي: علاقات طبيعية مع أشخاص مغايرين جنسياً،
علاقات مثلية، زواج المتحولين جنسياً، زواج متسلسل، زواج متعدد.

المباني

المباني الكلاسيكية: مبنى امباير ستيت، نيويورك.
المباني الحديثة: متحف سولومون جاجنهايم، نيويورك.
المباني ما بعد الحداثية: فندق بورتمان بونافينشر، لوس أنجلوس.
المباني ما بعد الطبيعية: برج الساعة العملاق، مكة.

الرسامون

الرسامون الكلاسيكيون: بيكاسو.
الرسامون الحديثون: جاكسون بولاك.
رسامو ما بعد الحداثة: آندي وار هول.
رسامو ما بعد الطبيعية: بانكسي.

الروايات

الروايات الكلاسيكية: فيتزجيرالد: غاتسبي العظيم.

الروايات الحديثة: كامو: الغريب.

الروايات ما بعد الحداثية: سلمان رشدي: أطفال منتصف الليل.

الروايات ما بعد الطبيعية: جي ويلو ولسن: آليف غير المرئي.

الغربة العالمية

جون سويني

إنّ ارتفاع الحرارة ليس غريباً على قرية بندر ماهشهر (معشور) الإيرانية؛ فالأمر مألوفٌ على ما يبدو وتشهد هذه القرية ارتفاعات ثابتة في درجات الحرارة، تتجاوز ٤٥ درجة مئوية خلال فصل الصيف، ولكن عندما يتجاوز مؤشر الحرارة ٧٥ درجة مئوية سجلت عالمياً، فإنّ الأمر يشدُّ انتباه العالم. ولسنوات عديدة، فقد حدّرت التقارير من أنّ الظواهر المتطرفة قد تتجاوز معدلات نظام المناخ العالمي. ورغم ذلك، ولمجرد أننا على علم بأن نتوقع ظواهر مناخية متطرفة فهذا لا يعني أننا نملك القدرة على التنبؤ أو التقليل من هذه الظواهر. وكما نعرف النظام المناخي العالمي، فهو يسير باتجاه ما بعد الطبيعي، والمحاولات لتحديد مسارات هذا النظام المناخي للمنطقة مسبقاً أصبح أمراً شاقاً جداً ولا يمكن إنجازه؛ فإلى أيّ حدٍّ من الغربة ستؤول إليه الأمور؟ ربما يكون هذا السؤال الجوهرى للقرن الواحد والعشرين.

وفي شهر أيار من عام ٢٠١٣م، بيّن مرصد (ماونا لوبا) أنّ ثاني أكسيد الكربون قد بلغ ٤٠٠ جزء في المليون، وقد بلغت مستويات الكربون في التقارير الأخيرة هذا المستوى؛ "إذ كان متوسط درجة حرارة الكرة الأرضية أعلى بنسبة ٣ درجات مئوية، واجتاح مستوى سطح البحر السواحل بارتفاع خمسة أمتار أو ما يربو على ذلك، وهو المستوى الذي لم تشهده البشرية مسبقاً، فقد جعلنا النظام المناخي العالمي أكثر غربةً، ومع استمرارية هذه الظاهرة، فنحن نحيا في عالمٍ صار تابعاً للغربة المتطرفة.

إنّ ظاهرة الغربة العالمية، وليس ظاهرة الاحتباس الحراري، هي أكثر من مجرد محاولة للعب بالمفردات، فهي تشخيص لما يحدث، وإنّ ظاهرة الغربة العالمية هي "تسميةٌ ملائمةٌ للشبكة الناشئة":

- التقدم التقني المطرد، والاعتماد على التقنية، وانتشارها في كل مكان.

- الكوارث البيئية الوشيكة.

- الدافع العابر للقوميات، وأثر الفاعلين ما بعد الطبيعيين.

عندما أضرم البائع المتجول النار في نفسه في تونس سنة ٢٠١٠م، لم يستطع إلا قلة قليلة التنبؤ بمآلات هذا الأمر. وفي زمن الغرابة، فإنّ محمد بوعزيزي هو النموذج المثالي لأصحاب الفاعلية في الزمن ما بعد الطبيعي. وبفضل شبكة التواصل والإعلام، فإنّ المظاهرات في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا قد انتشرت كالنار في الهشيم، فكيف لنا أن نفكر من خلال هذه التغيرات؟ وما هي الرؤى المفاهيمية، التي يمكن أن تُسعفنا في استخلاص المعنى والدروس من مثل ما يبدو غير معقول؟ وإلى أي درجة من الغرابة ستؤول إليه الأمور؟

ساهم ابتكار مفهوم النظام البيئي كثيراً في التحليل الكليّ لأثر النشاط البشري على النظام الحيوي، ولكنّ زمرةً من المفكرين قد خرجوا علينا في مطلع القرن العشرين بطروحاتٍ كُبرى حول الدور والنتائج الممكنة للتغيرات، التي يتسبّب بها الإنسان في خضمّ تغيرات الكرة الأرضية. وبعبارة أخرى، فإنّ بعضهم قد خلصوا إلى أنّ العالم هو نظام أحادي وكلّي متلاحم - حتى صار المرء قادراً بصورة دائمة على فهم نزعات التطرّف للهيمنة البشرية.

أصبحت الكثير من الأشياء التي سلّمنا بأنها "طبيعية" متطرفة؛ إذ صار من الصعوبة اختزال جميع أشكال السلوك المتطرف في عبارة واحدة. لقد أصبحت تقنيتنا متطرفة، واكتسبت الحداثّة دلالات متطرفة، وصار نظامنا الاقتصادي وسلوكنا الشرکاتي متطرفاً؛ وتقريباً فإنّ كلّ الآيدولوجيات تنزع باتجاه التطرف.

وقد نتج عن نزعة الغرابة المتطرفة، التي أحدثها التغير المناخي قيام بعضهم بالتفكير في "حلول" جذرية راديكالية. وفي الوقت الذي يعتقد فيه بعضهم أنّ الطريقة

الوحيدة التي تستطيع من خلالها البشرية تخفيف الغرابة المتطرفة، تكمن في مبادرات التعديل المناخي؛ فإنّ بعضهم الآخر يرومون علاجاً أكثر تقييداً. وبالنظر إلى أنّ "التعديل الطبي الحيوي للبشر" يجب أن يكون موضع نقاشٍ واعتبارٍ في ضوء نزعة الغرابة المتطرفة، يقترح المؤلفون بأنّ تعزيز مبدأ التعاطف، وإذكاء عدم تقبّل الأدوية للمنتجات، التي تحمل نسبة مكثفة من الكربون مثل اللحوم الحمراء، وهندسة قصار القامة، هي معقولة وأقل خطورة من مبادرات هندسة المناخ واسعة النطاق^(١).

وفي عالم تهيمن عليه نزعة الغرابة المتطرفة، قد لا يضطر البشر أن يقلقوا بخصوص التهديدات الجديدة، ولكن أيضاً بسبب مخاطر الماضي، التي يتوقع أن تطفو على السطح مرةً أخرى؛ إذ يتجه المناخ العالمي باتجاه المستوى ما بعد الطبيعي. وتبدو هذه الديناميكية أكثر وضوحاً في منطقة التندرا* حيث تحبس التربة الصقيعية الأشياء المروعة. ويعترف العلماء بإمكانية تربّص الفيروسات على صورة طاقة كامنة ومحتبسة في أعماق الأرض، حيث تُشكّل التربة الصقيعية التي تعود لعصور ما قبل التاريخ ظروفاً تسمح باستمرار العدوى. وبالرغم أن مثل هذا السيناريو يتجسّد على صورة خيال علمي، لا يمكن الاستهانة بنزعة الغرابة المتطرفة، هذا هو ما تعلمنا إياه حقبة الغرابة المتطرفة: لقد أصبح كلّ ما لا يمكن تصوره أمراً محتوماً بصورة مطّردة.

المراجع

(١) داير، جوين. حروب المناخ: الكفاح من أجل البقاء في الوقت الذي تسخن فيه حرارة العالم فوق المتوقع، أكسفورد: مطبعة Oneworld Publications، ٢٠١١م.

* هي نوع من المناطق الأحيائية حيث يعوق درجات الحرارة الباردة ومواسم النمو القصيرة نمو الأشجار (المترجم).

ثنائية الشرق والغرب في الأزمنة ما بعد الطبيعية

ضياء الدين سردار

"الشرقُ شرقٌ، والغربُ غربٌ، لا يلتقيان، حتى تشخص الأرض والسماء في حضرة الخالق يوم الحشر العظيم".^(١)

تغزو الأفكار أكثر من بقعةٍ جغرافية، وتحافظ على سلطتها أكثر من جيوش الملكة فيكتوريا، التي رثاها الشاعر كيبلنج. ورغم وجود الحجة التاريخية، والسياسية، والاقتصادية، والثقافية، فإن مقولة كيبلنج المسطحة تبقى المنهج المفضل لفهم العالم.

وما يسترعي الانتباه في أبيات كيبلنج الشعرية لا يكمن في البداية. الشرق والغرب مختلفان، وأوجه التباين تبدو أصيلةً وذات أثرٍ طويل. تشخص المشكلة أمامنا؛ لأنّ التباين يؤخذ على أنه هوة لا يمكن ردمها: "لا يلتقي الاثنان"، وما تتضمنه هذه القيمة السلبية تبدو في أصلها أرضيةً للخوف والشك في الآخر، ونزعة التحيز وعدم الشعور بالأمان بصورة مستمرة. ظلّ الشرق، بكلّ تعقيداته، يُنظر إليه بوصفه مصدراً للشر والخطر في نظر الغرب.

حان الوقت لتجاوز هذا المنطق الثنائي الخبيث. لم تتغير الحدود الفاصلة بين الشرق والغرب فحسب، بل أصبحت ضبابيةً ولا يمكن التمييز بينها، ثمة شرقٌ في الغرب كما أنّ هنالك غرباً في الشرق، ولكنّ أثر وفاعلية هذه الأفكار التي أذكت الإمبريالية الغربية ما زالت حيّةً وحيويةً، وتتمتع بالفاعلية التي يحركها الشرق من الداخل وبنفسه.

إنّ البحث عن المجرم الأصلي وإشهار اللوم هو طريقة للمضي في لعبة المعارضة المتعنتة: الشك، الاستعداد العسكري، التلاعب بالرأي العام، ازدواجية

المعايير وإهمال حاجات البشر الملحة. لقد ظلّ الشرق متواطئاً في إدانة منظومة القيم الأخلاقية للتناقضات الثنائية، ويكفي إدانة الغرب على أفعاله. فمقولة الشرق هو الشرق، والغرب هو الغرب تحدم الجميع.

ولا بد لأي محاولة للانفكاك من التناقضات الثنائية أن تأخذ بالحسبان مبدأ الخير في الشرق والغرب، بالإضافة للشروط المتجسدة في الطرفين. ولا يتأتى هذا الأمر إلا بالاعتراف بأنّ كلّ الأطراف ليست بريئة، وعلينا قبول أننا جميعاً مطالبون بإيجاد وسائل جديدة للتطهر من أوساخ عيوبنا.

فقد أصبحت الحاجة للتوفيق بين الشرق والغرب معاً أكثر إلحاحاً، عندما نعي الماهية العالمية الحقيقية للكثير من المشكلات التي تحاصرنا، ولا يمكن حلّ أيّ من هذه المشكلات من قبل بعض الحكومات بصورة منفردة؛ فهي تعصفُ بكلّ شخصٍ على سطح هذا الكوكب. وقد بينت العقود الأولى للقرن الواحد والعشرين بصورة في غاية الوضوح، بأننا نعيش في خضمّ الأزمنة ما بعد الطبيعية.

إنّ الشرق والغرب بأمرّ الحاجة لمنهجيات جديدة للتصدي لمعضلات الأزمنة ما بعد الطبيعية. والتعددية والتنوع هما العمود الفقري للتعامل مع صيرورة التعقيد، وإنّ الدرس المستفاد من صيرورة التعقيد يكمن في المسؤولية الفردية والاجتماعية والمساءلة، اللتين تشكّلان لبنة أساسية للبقاء الجماعي. وفي خضمّ الأزمنة ما بعد الطبيعية، قد يصبح العالم هشياً تذروه الرياح من قبل أفعال قلة من الأفراد.

جلبت الأزمنة ما بعد الطبيعية معها أشكالاً محدّدة من التناقضات إلى الواجهة. ونحن بحاجة للتفاوض بشأن المستقبل في حالة من اللاتيقين المستمر، إذا لم يكن في حالة من الجهل التام، وعلى الأقلّ بالحدّ الجزئي أو غير الكافي من المعرفة. وهذا يعني، أننا مطالبون بوضع خلافاتنا جانباً، شرقاً وغرباً، والتصديّ للتناقضات والتعقيد من خلال الحوار التوافقي البناء؛ إذ يحظى كلّ المتحاورين بالمستوى

نفسه من الأهمية؛ فليس هنالك طرق عنيفة لحلّ التناقضات أو التصديّ لصيرورة التعقيد. إنّ التواضع والاعتراف بالأخطاء والمساءلة والمسؤولية والتنوّع والحوار ليست ترفاً، لكنها متطلباتٌ جوهريةٌ للبقاء في الأزمنة ما بعد الطبيعية.

لا يوجد متّسع في الأزمنة ما بعد الطبيعية لمقولة الشاعر كيلنج المسطحة، فلا بد للشرق والغرب من التوافق معاً، وبذل قصارى الجهد لاستثمار تقاليد وتاريخ وموروث المجتمعات لكلّ منهما، لمجابهة الأوقات العصيبة بكلّ عقلانية وإنسانية. ولتجاوز علّة معضلة الأزمنة ما بعد الطبيعية، فنحن بحاجة لأسئلة ورؤى جديدة، ونتمنّى العثور على إجاباتٍ جديدةٍ أفضل.

المراجع

(١) كيلنج، روديارد . "قصيدة قصة الشرق والغرب"، (١٨٨٩م). انظر:

from <http://www.bartleby.com/246/1129.html>

تناقضات الاتحاد الأوروبي

جوردي سيرا

ثمة شبح يسكن الاتحاد الأوروبي - وهو شبح التناقضات بأم عينها؛ تشي هذه التناقضات بأن الأمم المتحدة قد تحوّلت لمؤسسة ما بعد طبيعية على أرض الواقع، وإنّ هذه التناقضات هي ثمرة سياسات الاتحاد الأوروبي، وهو الدافع الجوهري الذي شكّل الاتحاد، لكن جوانبه السياسية والاجتماعية والثقافية سوف تؤكد أهميته في المستقبل.

شيد الاتحاد الأوروبي على مدماك العديد من المعاهدات الدولية. وبحلول عام ٢٠٠١م، بدأ الأمر جلياً بأن الاتحاد كان بحاجة لخطوة نوعية للأمم، وهي دستور أوروبي؛ وكانت الغاية هي توحيد التشريعات المتنوعة، وتخفيف الزخم السياسي. والحق أنّ ما كان ينبغي أن يكون مؤسسة لكيان فيدرالي أعمي متفوّق على الدولة، قد أصبح مشروع نادٍ يضمّ أعضاء الدولة فقط.

برز الدستور الأوروبي بوصفه أول تناقض يعتور الاتحاد الأوروبي، فقد فشل هذا الدستور بوصفه هيئة دولية، بل تجاوز كلّ الحدود بوصفه مؤسسة دولة. ولو أردنا وصف الأشياء على علاقتها، ففي كثير من الأحيان كان الاتحاد الأوروبي يفتقر إلى القوة لتنفيذ سياسات مشتركة، ولكن الدول كانت تفتقر بصورة دائمة للتأثير الكافي للدفاع عن مصالحها الخاصة. ونتيجةً لهذا، لم تكن الكثير من السياسات طموحة بما فيه الكفاية للتصدي لقضايا تعصف بقارة أوروبا.

ورغم ذلك، إلا أنه يُنظر للاتحاد الأوروبي بوصفه مثلاً للحكم الدولي الناجح، على الأقل حتى لحظة اندلاع الكارثة الاقتصادية العالمية سنة ٢٠٠٨م، وإنّ خصوصية هذا الكارثة تكمن في كونها عالمية ومنهجية. وبصورة عامة، فقد شكّل

الانهيار المالي تحدياً وفرصةً في الوقت نفسه للاتحاد الأوروبي، إلا أن التحدي لم يؤخذ على محمل الجد، وتمّ تضييع الفرصة. وعليه، فقد تبنّت المؤسسات الأوروبية سياسة التقشّف، متوسّلين بإيمان المتحوّلين الجدد من المواطنين، وأبلغت شعوب القارة قبول الأمر دون مساءلة، وإلا سيكون الأمر وبالاً عليهم.

ثمة مفارقة مفادها أنّ حجم التخفيضات الموهلة في الميزانية تبدو الحل الأكثر ثباتاً بالنظر إلى القيود المفروضة على النظام الأوروبي. وتمّ تعريف عملة اليورو في عام ١٩٩٥م، وجرى إقرار اليورو في الأسواق قانونياً عام ١٩٩٩م، ثم تمّ تحويله بوصفه عملة مستخدمة وأوراقاً نقدية في عام ٢٠٠٢م. جسّد اليورو انطلاقةً سياسيةً للحصول على مستوى أعلى من التكامل، بوصفه عملةً مشتركة للاتحاد أكثر قوة؛ وصار اليورو استعارةً تدلّ على افتقار الإرادة السياسية. وكان اليورو وما زال غير كافٍ لتوليد سياسة اقتصادية مشتركة، وهو بدون سياسة مشتركة سيكون محكوماً عليه بالانهيار. ولهذا، يعاني اليورو صورتين من صور الهشاشة المفرطة، هما:

أولاً: اليورو يعرّف عملةً مشتركة للدول التي تمر بظروف اقتصادية وديناميكيات متباينة بصورة مهولة.

ثانياً: إنّ إدارة اليورو صارت في يد مؤسسة البنك المركزي الأوروبي، الذي هو مؤسسة مستقلة تماماً من السيطرة الحكومة. وظلّ البنك المركزي الأوروبي قادراً فقط على تقديم الأموال ذات الفوائد الرخيصة للبنوك الأوروبية الخاصة، على أمل أن تقوم هذه البنوك بمساعدة دولها القومية.

وبالمحصلة، صارت سياسات التقشّف تشكل محاولة، لتدشين أساس أخلاقي لا يعوّل عليه كثيراً لتخفيضات الميزانية أكثر من كونها طروحات اقتصادية جادة.

وأدّى الهوس بسياسات التقشّف إلى ظهور تناقض آخر، وهو أنّ رأس المال أكثر أهمية من البشر. فقد قام الاتحاد الأوروبي بإغداق الملايين على برنامج لضمان استمرارية الأنظمة المالية، إلا أنّ قلة قليلة منها كانت تقدّم القروض للشركات

المتعثرة أو الأفراد الذين يعتمدون بصورة كبيرة على الرهن العقاري. ومع ذلك، دعونا نتذكر أنّ مصدر هذا التمويل هو المال العام، وهو المال الذي مصدره جيوب المواطنين، ومن جيوب الاتحاد في نهاية المطاف. ولسان حال المنطق هنا، هو أن هنالك تأثيراً منتهجاً لانهيار البنوك قد يزيد الطين بلةً لهذه الكارثة، ويطيل أمد وبالها.

وأدت محصّلة محاولات الاتحاد الأوروبي للتصدّي للأزمات المالية إلى اجترار شرح عميقٍ داخل حدوده، مما ولّد المزيد من التناقضات. وفي الوقت الحاضر، ثمة شرح بين مواطني الاتحاد؛ الشعوب من الدول التي تم إنقاذها، مقابل الشعوب التي تنتمي للدول التي تحاول إنقاذ الآخرين. وإنّ الشرح الحقيقي لكلّ بلد يكمن في شعبين؛ أحدهما تسير أموره على أحسن وجه، والآخر على النقيض. صار الكثير من الأوروبيين على يقين بأنّ أبناءهم وأحفادهم لن يحققوا مستوى الرفاه، الذي كانوا أنفسهم يتمتعون به. وبصورة عالمية، فقد كشفت خطة الإنقاذ العالمية اللثام عن مدى هشاشة نسيج الاتحاد الأوروبي. وفيما يخص داخل بنية الاتحاد، فقد عزّزت خطة الإنقاذ المالي الحكومي مفهوماً مفاده، أنّ الاتحاد الأوروبي يُفضّل الاستقرار الاقتصادي على حساب الشرعية الديمقراطية.

وكان ينبغي على الاتحاد الأوروبي اتخاذ قرار أكثر أهمية من كلّ الأطراف، فهل غرضه يكمن في توحيد المواطنين، وتسويق تدفّق الناس واليد العاملة بين الدول الأوروبية، وجمع الأوروبيين مع بعضهم بعضاً، والاحتفاء بتاريخهم الفكري والثقافي، أم إثراء مصارفهم ومؤسساتهم المالية؟ على الأقل، على المجتمع الأوروبي أن ينبري للأسئلة الآتية:

هل الاتحاد الأوروبي سوق؟

هل الاتحاد الأوروبي عملة؟

هل الاتحاد الأوروبي مشروع للحكم الذي يفوق سلطة الدولة؟

هل الاتحاد الأوروبي جميع ما ذكر؟

يعتمد مستقبل الاتحاد الأوروبي، وجدوى وجوده في الزمن ما بعد الطبيعي على الإجابة. أزعـم هنا أن اختزال الاتحاد الأوروبي ببُعده الاقتصادي أو السـاح للمنطق الاقتصادي تحديد عمله هو خطأ فادح، فقد ظلت أوروبا على الدوام فـسيفاء متنوعة من الأراضي، والشعوب، والثقافات وكل أنواع الولاءات، ولم تكن أوروبا قط متجانسةً، ولا يمكن اعتبارها وحدةً متجانسةً بأي شكلٍ يمكن تحيـله، وحتى عندما جعلت أوروبا تعمل بوصفها وحدة اقتصادية، فإنّ هذه السمات الاقتصادية لا تعكس الجوهر الحقيقي للاتحاد الأوروبي. وبوصفها وحدة متجانسة، فإنّ نجاحها يتجسّد في مكان آخر.

يتبادر إلى الذهن مثالان، هما: الحقوق والحماية البيئية. ولو اعتبرنا القواعد المعيارية للاتحاد الأوروبي أو ما يُسمى بـ"مجتمع المكتسبات"، نستطيع أن نعرف أنّ هنالك منظومةً لا مثيل لها من الحقوق، التي يمكن أن تعرف بالمنطقة الأكثر ديمقراطية في العالم؛ فقد طوّر الاتحاد الأوروبي التشريعات الأكثر تقدماً حول قضايا البيئة. وأجبرت تقارير المفوضية الأوروبية حول موضوعات الصحة، والتعليم، والمساواة الجندرية، وظروف العمل، وحقوق الأقليات، العديد من الدول أن تسير قُدماً في مساعيها القانونية لمواكبة مبادئ الاتحاد الأوروبي.

وأزعـم أنّ معظم مواطني الاتحاد الأوروبي يدركون في الوقت الحاضر، بأنّه قد تمّ الوصول إلى نقطة التحول؛ فالانتخابات الأوروبية في عام ٢٠١٤م كانت الإشارة الأولى على هذا التحول. وفي خضم صعود أحزاب اليمين المتطرفة، فقد استوعب البرلمان النسبة الأعلى في تاريخه من مناهضي أوروبا، ولدى أحزاب اليمين المتطرفة الحلّ وهو التقليل من تأثير الاتحاد الأوروبي، وبالنسبة للآخرين، فإنّ البديل المنطقي الوحيد هو النقيض من هذا: المزيد من تأثير الاتحاد الأوروبي.

وقد أثبتت أحداث عام ٢٠١٥م أنّ الطرفين كانا على صوابٍ وخطأ معاً؛ فقد شرع ملايين اللاجئين، من سوريا والدول الأخرى بالدخول إلى أوروبا، وتم رفض

بعضهم من قبل قلة قليلة من الدول في البداية. ولما تصاعدت أرقام اللاجئين، زادت نسبة الرفض تبعاً. وكانت إدارة هذه الأزمة الإنسانية مصدر عارٍ لكثير من الأوروبيين منذ ذلك الحين. وفي هذه الأيام، فإنّ قلة قليلة من الناس يشعرون بأنّ الاتحاد الأوروبي يخدم مصالحهم أو يُلبّي حاجاتهم؛ ولم يعد غريباً بأنّ معظم هؤلاء لا يرون بأنّ هنالك شيئاً في الاتحاد الأوروبي هو لصالحهم.

وأصبح الخيار في الوقت الحاضر يكمن في السير بالاتحاد الأوروبي، لتحقيق غاية حضارية ذات ماهية راقية، أو الرقي بالاتحاد الأوروبي لتجاوز تناقضاته، والتصدي لأزمة ما بعد الطبيعية بالرؤية والاستشراف، المتمثل في:

أولاً: لا بدّ من إذكاء وعي الشعوب بمكانة البعد الجغرافي في عالم تقديمي مترابط، ومعقد وفوضوي.

ثانياً: إنّ الاتحاد الأوروبي بحاجة لإطار بنوي جديد يناسب سياق أزمة ما بعد الطبيعية؛ إذ يأخذ بالحسبان الرفاه الاقتصادي للناس كافة، وبنية الحكم أيضاً.

ثالثاً: إنّ الاتحاد الأوروبي هو بمثابة حاجة ملحة لقيادة جديدة. ومن أجل نزعة البقاء في المستقبل، فإنّ الاتحاد الأوروبي بحاجة لجيل جديد بقيادة أخلاقية قادرة على التصدي للأزمة ما بعد الطبيعية.

أمريكا في زمن ما بعد الطبيعي: السينما

سكوت جوردان

في خضم التحولات الرئيسية، تتوسّل أمريكا بنزعة الآخر لتقييم ذاتها ضد الهويات الأخرى. لقد استخدمت كلاسيكيات ما قبل الحرب الشخصيات الأفروأمريكية، وظلّت سينما ما بعد الحرب العالمية الثانية مسكونةً بشبح الشيوعية. وظهرت التصورات الاستشراقية في الستينات والسبعينات من القرن الماضي، قبل ظهور صورة "العربي الإرهابي" بوصفها صورة تشي بالخطر الذي يتهدّد الجميع في السينما.^(١) ثمة تحوّل طفيف آخر أثناء العقد الأخير؛ إذ استبدل خطر الأزمة التي نحيهاها بالخوف من الآخر، الخوف من التغير المناخي،^(٢) والرعب الذي أحدثته الأزمة الاقتصادية، والقلق حول الإنترنت، والخوف حول الأئمة، والذكاء الاصطناعي، والاستنساخ. ونظراً لانعكاس هذه الصورة، فليس من المستهجن أنّ الفيلم المعاصر يعالج الأزمة ما بعد الطبيعية.

أود مناقشة فيلمين أعتقد أنّهما يعكسان صورة أمريكا في خضم الأزمة ما بعد الطبيعية: فيلم "القنّاص الأمريكي" (٢٠١٤م) وفيلم "العائد" (٢٠١٥م) للمخرج أليخاندررو جونزاليس. وقد يدّعي بعضهم أنه ليس هنالك علاقةٌ تُذكر أو حتى لا وجود لأيّ قاسمٍ مشتركٍ بين هذين الفيلمين يربطهما بالأزمة ما بعد الطبيعية، لكننا نستطيع استخلاص الاستعارات،^(٣) التي تسلّط الكثير من الضوء على مخاوف أمريكا، وقلقها الجهول، ونزعة الخوف من اللاتيقين في المستقبل.

يسرد لنا فيلم "القنّاص الأمريكي" قصة جندي البحرية الراحل كريس كايل، وهو الرجل الذي اشتهر بقتل الناس، إنه بطل أمريكي. يلتقط فيلم المخرج كلينت إيستوود هذه المأساة الأمريكية ويحوّلها إلى استعارة سرّية لأمريكا ما بعد الطبيعية. وجُلّ أحداث الفيلم تحتوي على الشعور المتعارف عليه كثيراً لمشاهد حرب الديستوبيا

[المجتمع الفاسد] النموذجية لأمريكا بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر. وبهذه الخلاصة، يبقى كايل على الأقل الاستعارة القديمة لأمريكا التي تمثل الخير.

إنها استعارة لما آلت إليه أمريكا منذ صعودها في سلم الهيمنة العالمية، مما ترك خياراً للجمهور لما يتعلق بمسار صيرورة المستقبل. كايل يجب تكساس، والبنادق، ويريد أن يصبح راعي البقر الأمريكي. واللافت هنا أن لدى كايل حساً أمريكياً كلاسيكياً خارقاً للطبيعة فيما يخص مبدأ العدالة. إن الاستعارة المستخدمة هنا تمثل عدداً لا يحصى من الاستعارات المفرغة، التي تشخص في سيكولوجية الأمريكي الأصولي الواقعي. ففي الفيلم نفسه، يشاهد البطل كايل تقريراً إخبارياً للسفارة الأمريكية عن تفجيرات في كينيا عام ١٩٩٨ م، وكأنه يشاهد أخاه الصغير وهو يتعرض لضربات عديدة متكررة من قبل شخص متنمر. إنه مجتمع يتكئ كثيراً على النزعة الفردية الأصولية، الذي لا يتعاطف مع الغرباء إلا من خلال الهوية الأمريكية.

تبث التعليقات الإخبارية الخوف الفوضوي وشعوراً عميقاً باللايقين حول العدو الجديد، ثم هناك الحادي عشر من أيلول. لقد تمّ التلاعب بسهولة بصفات يتميز بها الشيعي، والياباني، والألماني بصورة كاريكاتورية نمطية سخيفة، يتم استغلالها حذو النعل بالنعل، وأصبح العدو شبحاً، وتقريباً بلا إنسانية. ولهذا، لا بدّ لأمريكا أيضاً أن تفقد إنسانيتها. نشاهد تدريبات الجندي كايل في فرقة القوات الخاصة، والتي يتوقع أن تكون متجردة من الإنسانية، ولكن بدل ذلك يبدو التدريب أقرب للتدريب اليدوي على الإنترنت، ثم يصبح متماهياً مع الحقيقة.

يحظى البطل كايل بكل شيء، عروس مثالية، وطفل يستعد للقدوم إلى هذا العالم، والحلم الأمريكي، فيتبين لنا هنا أن لعبة الرماية والأهداف الورقية ليست استعداداً لقتل البشر الأحياء. تراقب أمريكا العالم من خلال منظار عالي الطاقة، وهو بمثابة الدرع الذي يحتاجه العالم. ويتم وضع عبارة "البطل" على كرة ملعب كرة القدم، وتركل الكرة ذهاباً وإياباً، ثم تتجلى الصورة أمام أعين الجماهير، إن كريس كايل هو

بطلنا. وكل هذه التناقضات التي تظهر جليةً في منظومة القيم لدى كايل تدفع به في غياهب اللايقين للأزمنة ما بعد الطبيعية. والنتيجة هي بطلٌ منبَتٌ من ذاته، وبطلٌ دونكيشوتي يتأرجح الجمهور باتجاهه بين مؤيِّد بحماسة ومن يتمنى فشله.

لكن العالم لم يعد بهذه البساطة أبداً، فبطلُ الأزمنة ما بعد الطبيعية ليس بإمكانه أن يهزم الأشرار، ويُبطل مفعول القنابل، وإنَّ بطلَ الأزمنة ما بعد الطبيعية هو أشبه برَبَّان السفينة قبل كلِّ شيء. يتصدى بطلُ الأزمنة ما بعد الطبيعية لمفاهيمنا القديمة، واختبارها، والمطالبة بتثقيف أنفسنا حتى لا نسقط في جب العدو الحقيقي.

إنَّ أول هؤلاء الأبطال محكومون بأن يتحولوا إلى أبطال تراجيدين؛ وذلك لأنَّ عدم إلمامهم بفكرة الأزمنة ما بعد الطبيعية سوف تشكّل تحدياً قاتلاً لهم. فبعضهم سوف يتقبَّل فكرة التعقيد والتناقض التي تتربّص بهم، والآخرين سوف يحاولون تخطيها، وبعضهم الآخر سوف يكون حتفهم من خلالها. سوف تبتلع هذه الشخصيات من قبل نزعة اللايقين التي تتربّص بهم؛ وستقتصر خياراتهم على كيفية تعاملهم مع جهلهم.

وبصورة لاواعية تماماً، يصوّر الفيلم العضلات الأساسية، والتناقضات الداخلية للجهل المتجذّر في أمريكا في خضمّ الأزمنة ما بعد الطبيعية. أعيش في أمريكا التي يفوق فيها عدد الأسلحة عدد البشر، وإطلاق النار في حرم الجامعات أصبح أمراً معتاداً، وتصدير الحروب هو السياسة الخارجية. إنَّ فيلم "القناص الأمريكي" مرآة تكشف لنا عقليتنا التي تفتقر للحكمة والنضج، والتي تدفعنا باتجاه العنف بصورة دائمة.

إنَّ الأزمنة ما بعد الطبيعية هي أزمنة مضطربة ومثيرة للقلق. وثمة إشارة مبطنّة حول كيفية تماهي أمريكا مع الأزمنة ما بعد الطبيعية يقدّمها لنا فيلم (العائد للمخرج أليخاندرى جونزاليس إيناريتو، إذ يقدم لنا المخرج إيناريتو محاولة اكتشاف بحرية وسبر أغوار هذه الأزمنة ما بعد الطبيعية.

وللاستعداد إلى هذه الرحلة البحرية، يبدأ الفيلم في المياه الجارية، وهو عنصرٌ أساسيٌّ للحياة؛ أب بصحبة ابنه: جلاس وهوك، وثمة شيء لا يمتُّ لطبيعة الأرض بصلة وهو أسلحتهم. وهنالك غزال تشعّب حواف قرونه بصورة لا يمكن عدّها، وكأنّها تُجسّد شجرة الحياة بكامل اخضرارها. ثم انفجار! يولّد صوتاً غير طبيعي في بدء رحلتنا. وفي الجوار، ثمة معسكر للرجال يعيشون في الطبيعة العارية. وهنالك توقف لإيقاع الصباح تحدّثه عيارات بندقية. يعبر جون فيتزجيرالد عن قلقه حول الضجة اللاطبيعية لسلطة شخصية القبطان أندرو هينري، ثم لا تلبث أن ترتبّص بنا صورة "الآخر" في كل مكان.

إنّ الحكاية هنا تتمركز في كونها دليلاً يتوسّل به الأب نحو الأزمنة ما بعد الطبيعية، وإنّ دور جلاس بوصفه أباً يبدو معقّداً بصورةٍ مثيرة للاهتمام. والاستعارة المبسطة هنا تكمن في كون جلاس، الذي يشبه منظور أميركا السياسي والمضلل، يسير بالعالم المتخلّف حضارياً نحو الازدهار، وليس بمقدور جلاس أن يتنبأ بالضوء في آخر النفق لهذه الرحلة، إنه يحاول فقط أن يوصلهم إلى برّ الأمان في حصن قريب، لكنه مجبرٌ أن يكون أباً لهذا الرهط من الرجال البيض، الذين يتطلعون إليه بوصفه الوحيد القادر على إنقاذهم من هجمات قبيلة أريكارا، وثمة احتمال كبير أن يفشل هذا المسعى، وحتى لدى وصولهم الحصن المنيع، ماذا بعد؟

وعلى نحو مماثل، فإنّ فيتزجيرالد يشكّل صورةً ما للأب، فلنسمّه أب الجهل والتخلّف ما بعد الطبيعي. فقد اتخذ فيتزجيرالد من الشاب بريجير ولدّاً له؛ إذ أفسده باتباعه النماذج القديمة التي تتداعى بصورة بطيئة في نهاية كلّ حقبة تاريخية. وتتلخّص فلسفته في أنّ كلّ شخصٍ يحيا لذاته، والمعاناة هي أمر غير ضروري مطلقاً، والكذب مثلبة مبررة، كل هذا سوف يهوي تباعاً في وجه نزعة اللايقين.

يبدو أنّ القبطان هينري هو الأب المزيف، إنه تماماً الأب الذي نطلبه من حكوماتنا والعديد من مؤسساتها التابعة، لكن المأساة تكمن في أن هؤلاء جميعاً تحت رحمة الخبراء والرأي العام، وكلاهما عرضةٌ لمصير الفوضى والتناقضات الحتمية.

وليس بمقدور هنري إنقاذ أطفاله، ولا حتى رجاله. يقدم رئيس قبيلة أريكارا صورة مناقضة للقبطان هنري، فلديه دافع قوي كما لقبيلته لإيجاد ابنته. لقد بقي صادقاً مع هويته، لكنه حظي بامتيازات الرجل الأبيض وأسلحته وتعلّم لغتهم، وإنّ تحديه للجهل يقدّم فرصة لكلّ الآباء المزيفين في الوقت الذين يجابهون فيه نزعة اللاتقيين في المستقبل.

يمثّل هذا الفيلم التقاء تقنيات أبوية عديدة، ويمنحنا تجربة مثيرة للاهتمام في خضمّ الأزمنة ما بعد الطبيعية؛ إنّ هذا الالتقاء مشحون بالمواجهة، والأكثر وضوحاً وهي المواجهة بين جلاس والأب الذي غزا الشيبُ رأسه أو في هذه الحالة، المواجهة مع الأم.

إنّ نظرة أبي للدبية قد تأثرت بصورة كبيرة بحياته أثناء الحرب الباردة؛ السوفييت، الشيوعيون. وفي فترة حياتي، تحولت صورة الدبية من الرسوم المتحركة المسالمة إلى صورة قوة الطبيعة. لقد ترعرعت بصحبة الدب ويني، ويوجي، وبالو. ثم جاء فيلم "الرجل صاحب الشعر الأشيب" للمخرج فيرنر هرتزوج (٢٠٠٥م). إنّ هذا الفيلم الوثائقي كان مشحوناً بروح إنقاذ الطبيعة واحترام جمالها، لكنه علّمنا دروساً ثمينة، أنّ الطبيعة متوحشة، وكلّ من يمشي على حدودها مجبر بالالتزام بقواعدها، وإنّ الدب هو ملك الأدغال الأمريكية، فلم لا يكون الأب الطبيعي في فيلم المخرج إنيراتو؟

تكمن مأساة هذا الفيلم في أنّ الصراع يتجسّد بين الآباء. وعلى غرار نزهة الأب والابن، فإنّ الفائز بهذه المسابقة لا يعتمد على الشخص الذي يحبّ الآخر أكثر أو من لديه القوة الأبوية الفطرية الأكثر أو حتى بعض الأحاسيس الشاعرية الرومانسية التي تجمع رابطة الآباء، فكلّ من شخصية جلاس أو فيتزجيرالد أو هنري، أو رئيس قبيلة الأريكارا، وشخصية الدب يمثلون شخصية البطولة. تتقاطع

هذه الشخصيات في حجم الجهل الذي يمثلونه جميعاً، وفي طريقة تعاملهم مع نزعة اللايقين المستقبلية.

وفي إحدى مشاهد الفيلم الختامية، يُلقى علينا الفيلم تلويحة الوداع من خلال مشاهد المياه الجارية التي تتدفق بأرض التاندر، ولكن ثمة بقعة دم ضخمة تلتصق بضفة الماء، وصار بمقدور الرياح والماء والثلوج الطازجة أن تعيدها إلى لحظة الجمال الأولى في بداية الفيلم. هي تلك إذن، مخاطر الأزمنة ما بعد الطبيعية. وليست الحقيقة مسألة تجريبية فحسب، لكنها تتطلب مستوى آخر من التأمل. وسوف تهزم رياح الطبيعة قوى الجهل، ولكن كيف ستلتقط أمريكا أنفاسها في خضم الأزمنة ما بعد الطبيعية؟

المراجع

- (١) بيرستيان، ماثيو. وستادلر، جيلين (تحرير)، رؤى الشرق: الاستشراق في الأفلام، لندن: مطبعة IB Tauris، ١٩٩٧م، وضياء الدين سردار، الاستشراق: الجامعة المفتوحة، ١٩٩٩م.
- (٢) كابلان، ي، آن. صدمة المناخ: استشراف المستقبل في أفلام الديستوبيا والرواية، مطبعة جامعة روتجرز، ٢٠١٥م.
- (٣) وايتوك، تريفور. الاستعارة والفيلم، مطبعة جامعة كمبردج، ١٩٩٠م.

اليابان في الزمن ما بعد الطبيعي

سكوت جوردان

ليس هنالك ما هو طبيعي حول اليابان. يتشابك اليابان منذ عقود مع فوضى الإنترنت، ونزعة اللايقين، والكثير من التناقضات. وإنّ الحراك، الذي يسير على عجل باتجاه الأزمة ما بعد الطبيعية، وصار ضرباً من ضروب التأييد لهذه الأزمة، لم يكن قتلاً للتقليد، بل هو شكلٌ من أشكال التخلّص من العناصر الكلاسيكية في المجتمع. ويتبيّن لنا من استقراء الأفعال والسياسيات اليابانية كيف أنّ اليابان استطاعت مجابهة الأزمة ما بعد الطبيعية بصورة عملية وفعّالة.

إنّ الكيفية التي تطور فيها هذا التنبّي الياباني لنظام الأزمة ما بعد الطبيعية، تتطلب رؤيةً ثابتةً لمفهوم التغيير. ففي الماضي، كان التغيير مفهوماً، تترصّده الدول بعين فاحصة في محاولاتها للحفاظ على النظام والسيطرة. واليابان، التي تقف في الوقت الحاضر بدون شعارات وطنية، صارت تلبس لبوس الأزمة ما بعد الطبيعية، والذي يظهر في السمات الثلاثة لهذه الأزمة: التناقضات، والتعقيد، والفوضى، في الوقت الذي تسير فيه اليابان قدماً باتجاه مستقبل جديد.

ولكي نفهم ما هي الأسباب التي جعلت من اليابان البلد الأكثر جاهزية للتماهي مع الأزمة ما بعد الطبيعية، يتعيّن علينا فهم الكيفية الفاعلة، التي توصل بها اليابان لمعالجة السمات الثلاثة للأزمة ما بعد الطبيعية عبر التاريخ، ويمكن توضيح مشكلة التعقيد من خلال مثال مكعب روبيك، ومن النظرة الأولى، ومن خلال دمج المربعات الصغيرة معاً، يبدو لنا المكعب في غاية التعقيد. ورغم ذلك، ثمة نموذج يمكن من خلاله حلّ معضلة المكعب، من خلال جعل كلّ جانبٍ من جوانب المكعب الستة بلون واحد. وفي واقع الأمر، فإنّ مكعب روبيك ليس أمراً معقداً، بل هو أكثر بساطة مما نظن. دعونا نغيّر قواعد اللعبة قليلاً، فعندما يكون لديك عمى الألوان أولاً، وثانياً، فإنّ كل تغيير تقوم به في هذا المكعب، سيقابله تغيير عشوائي وتلقائي آخر.

إنّ معضلة التعقيد ليست مفهوماً غريباً على المجتمع الياباني، وإنّ الحياة والبنى الكثيرة للمجتمع في اليابان حُبلى بتوقعات جامدة لبنية التسلسل الهرمي، والولاء، والاحترام، والطقوس. وإنّ تاريخ اليابان هو أقرب لحكاية تلتحم فيها نزعة التجديد، والقيم الخارجية مع المكون المحلي والأصلي لتشكيل قيم جديدة، مع الحفاظ على القيم التقليدية في الوقت نفسه.

إنّ اليابان دولة حديثة على الدوام، وهي متمسكة بالقيم اليابانية بصورة متجدّرة، فما زال التعليم يحظى باهتمام كبير. ورغم ذلك، ثمة مفاهيم جديدة تُضاف للمناهج، والطلبة يحصلون على تعليم هجين ملأ الدنيا وشغل الناس. ويتم مساندة الحكم المطلق للإمبراطور من خلال برلمان على النمط الغربي، ولكن هذا البرلمان يمارس الاحترام للطقوس التقليدية جنباً إلى جنب مع ممارسة الديمقراطية. وبصورة كلية، فقد تمّ التخلّص من كل إرث المجتمع الذي يتوسّل بقيم الحرب، فقط لإعادة تشكيل هذا المجتمع بعد عدة سنوات، ليصبح الجيش مفهوماً يحمل قيم الولاء "للسلام وأمن البشرية جمعاء".

تحوّل المجتمع الياباني إلى صيرورة عضوية من التغيّر المستمر من الشرق والغرب. دعونا نُضيف طبقةً إضافيةً للمكعب المعقّد الحالي، فكلّ تغيير تقوم به في هذا المكعب، ينتج عنه تغيّر أحد المربعات التسعة في كلّ جهة بصورة عشوائية. إنّ مبدأ الفوضىّ يمسك بزمام الأزمنة ما بعد الطبيعية، وكل التغيرات الصغيرة تؤدّي لنتائج جذرية.

يتم رصد الفوضىّ في اليابان بصورة كبيرة من خلال صراعات السلطة؛ فمبدأ السلطة، وكلّ الذين يرومونها قد أحدث تطوراً عسكرياً مضطرباً، انتهى به المطاف بالتلاشي. وقد تأثرت اليابان بعد الحرب بصورة كبيرة بالإلهام الأجنبي واحتضان المثّل الغربية مثل الكفاءة والتطور، التي سيطرت بصورة مهولة على سياسات

اليابان. وفي الآونة الأخيرة، تم توطيد وشائج متينة بين الهيمنة الاقتصادية والكارثة الاقتصادية، والقيادة التكنولوجية والنهب البيئي، والسلام المتناغم وسياسات الأمن العدائية.

دعونا نعود إلى مكعب روبيك مرة أخرى، ثمة تغيير يحدث في كل مرة تقوم به، ومربع عشوائي يتسنى له تغيير لونه مع كل حركة تغيير تقوم بها. إنَّ صيرورة التغيير العشوائي للمربعات الصغيرة على سبيل المثال، يسمح للمكعب أن يحتوي على عشرة مربعات حمراء، وإنَّ هذا التناقض يمنع هدف اللعبة من الاكتمال.

وتم ملاحظة هذه التناقضات في تجربة البرلمان الياباني بعد الحرب؛ وهي التجربة التي أريد لها أن تكون أعظم قصص نجاح الديمقراطية. ورغم أنَّ اليابان كان لديها العديد من أحزاب المعارضة، إلا أنَّ هنالك حزباً حاكماً وحيداً يظهر بصورة جليّة، وهو الحزب الليبرالي الديمقراطي (LDP). والجدل القائم حالياً يكمن في التناقض بين أمن الدولة والتفويض الصارم الذي تقدمه المادة ٩ من الدستور الياباني، الذي يمنع تشكيل وإقامة جيش.

وحتى في نطاق عالم الأعمال، فإنَّ نهج اليابان في التعامل مع الرأسمالية، يبدو متضارباً مع معايير السوق الغربي؛ إذ يتم إذكاء الرأسمالية من خلال مبدأ التنافس، ولا يعدّ التقليد الياباني مبدأ التنافس فضيلة. والاحتكار ليس كلمة بذية في اليابان، فإذا قامت شركة أعمال بالسيطرة على سوق ما، فإنَّ اليابانيين يحترمون هذا الأمر، وتقوم الشركات الأخرى بالبحث عن مكان آخر. وليس هنالك تنافس داخلي بصورة افتراضية، بل تقوم شركات الأعمال في اليابان بدلاً من هذا بالتنافس ضد الشركات الأخرى ضمن نطاق عالمي.

ثمة ثلاثة عناصر للخطة اليابانية للتعامل مع المعضلات المذكورة، والتي تقدم معرفة أصيلة للأزمة بعد الطبيعية؛ يكمن العنصر الأول ببساطة في البرلمان

الياباني، فما بدأ بوصفه مجلساً لعلماء الإمبراطور قد تطور إلى مجموعة من الأكاديميين من أصحاب الفكر المدني المقاتلين، للحفاظ على الطقوس اليابانية المتجذّرة؛ وهم مجموعة تتكون من جهاز متنفّذ يضمّ العديد من الأصوات. وبينما تميل الأجهزة التشريعية الأخرى للدولة لضّمّ فرقاء معارضين، فإنّ البرلمان تمّ تشكيله للسماح لأكبر قدر ممكن لتمثيل الصوت الياباني.

أما المكوّن الثاني لخطة المعالجة اليابانية للأزمة ما بعد الطبيعية، فتتضمّن الوعي العالمي. تعلم اليابان الآثار والمؤثرات العالمية، وما يدور من أحداث حول بقية الكرة الأرضية، وإنّ نزعة البقاء لدى اليابانيين تتكئ على هذا المكوّن. أما المكوّن الثالث فهو التفكير في المستقبل، يبدو هذا المكون بسيطاً، ولكن توازن السياسات المحلية والخارجية أثبتت أنها أمرٌ صعبٌ، ويتجاوز الزمن الممتد بين ظهرانينا. بقيت اليابان خطوات عديدة متقدمة للأمام في سياساتها من أجل صراع البقاء، ولكن وجود أمة دون جيش قائم، وفي حدود متاخمة لجيران شكّلوا قوى عسكرية تعاضم بسرعة كبيرة، مع الأخذ بالاعتبار حجم التوتر التاريخي الذي يطفو على السطح، تبدو اليابان مجبرة على جعل السلام الدولي أولى الأوليات لديها، ومكانة اليابان التي تترأس القوى الاقتصادية عالمياً، تتطلّب أكثر من مجرد فهم عادي للأسواق وحركة المال الدولية.

وفي الوقت الذي أصبحت فيه ظاهرة الأزمة ما بعد الطبيعية شاخصة أكثر، يبدو من الجدير بالاهتمام أن نستبصر كيف شكّل صانعو القرار اليابانيون سياسات دولتهم، وعدّلوا على هذه السياسات بما يتناسب مع النظام البيئي العالمي، الذي يبدو مضطرباً بصورة متزايدة. فلا يمكن حلّ أحجية مكعب روبيك العشوائي الجديد، ولكننا نتعلّم من لدن هذه الأحجية الكثير عن أنفسنا، وكيف لنا أن نتعامل مع كوكب الأرض.

حيوات وأعمال (لعبة العروش الدينية)

سكوت جوردان

كُلُّ منا لديه آراؤه التي يعتنقها، ولكن كُُلُّ هذا يُصبح هباءً عندما أختار قتلك. نظن أننا نحيا في عصر علماني، رغم أن الله في كل مكان، إن السلطة حول صنع القرار قد سلّمت أمرها لله. ثم نجابه سؤالاً آخر، وهو كيف لهؤلاء الشباب أن ينضموا للحركات الإنجيلية المسيحية بأعدادٍ مهولة، أو يتكالبون كالأكلة على قصعتها لنصرة قضية داعش، وانتشر المتطرفون الدينيون وصاروا يتصدّرون عناوين الصحف اليومية.

إنّ العالم الذي ابتكره جورج ر.ر. مارتن في سلسلة كتبه "أغنية النار والجليد"، التي أنتجت سلسلة المسلسل التلفزيوني المشهور لعبة العروش على قناة HBO،^(١) يحترم الدين ويسبر أغواره كما هو موجودٌ في العالم الواقعي. وبهذا، يُقدّم لنا الفيلم التقاطةً ذكيّةً عن التفاعلات الدينية لعالمنا الذي نحيا فيه، والتناقضات التي تتمخّض من خلالها.

عنوان الحلقة "قد يبعث من يموت مرة أخرى"؛ إذ يطرح على تايرون لانيستر وهو ذراع ملك ويستروس ومعاونيه، بوضع حلّ لغز؛ "ثلاثة رجال عظماء يجلسون في غرفة؛ ملك، ورجل دين، ورجل ثري. يتوسطهم رجلٌ مرتزقٌ وهو قاتلٌ مأجور، يُراهن كُُلُّ رجلٍ عظيم على أنّ القاتل المرتزق سوف يقتل اثنين منهما، فمن يحيا؟ ومن يموت؟" يجيب فاريس صاحب السؤال على صمت تايرون بحكمة بليغة: "تكون القوة أينما يؤمن بها الناس. هي خدعة، والدهر لا يبقى على حدثانه، فرجل صغير الشأن قد يكون صاحب سلطة لا يُؤتى من قبله".

يفسّر فاريس دولة الأزمنة ما بعد الطبيعية للممالك السبع، لكنه يُقدّم لنا تأملاً حيويّاً عن الدين في الزمن المعاصر، لكن شيئاً غريباً يحدث، فكلّه بفضل شبكات

التواصل الاجتماعي، وقنوات الأخبار التي تبث ٢٤ ساعة، ووسائل التواصل السريع الأخرى، أصبح بمقدور هؤلاء التافهين أن يحظوا بأثر عالمي مهول في الوقت الحاضر.

دعونا نتأمل على سبيل المثال القسّ فريد فيليس وأتباعه المعروفين باتباع كنيسة ويستبورو المعمدانية، وهم معروفون باحتجاجاتهم المتطرفة والمبالغ فيها ضد جنازات أفراد الخدمة العسكرية، ومجتمع المثليين. لقد احتوت هذه الكنيسة على ٤٠ عضواً في الوقت الذي توفي فيه القسّ فيليس.^(٢) لقد نجح فيليس في اكتساب الكثير من الاهتمام الأمريكي والعالمي، وبهذا اكتسب سلطةً مهولةً.

ويقدم لنا القسّ تيري جونز في مركز دوف أوتريتش العالمي في غيزفيل في ولاية فلوريدا مثلاً آخر، كان جونز أحد المسيحيين المعادين للإسلام؛ إذ أعلن ذات يوم أنه عازم على حرق القرآن.^(٣) ومن خلال أفعال جونز ونواياه، والذي لم يكن لديه أكثر من ٢٠ تابعاً وبفضل سرعة تقنية الاتصالات، فقد تحولت نيته إلى ظاهرة عالمية. لم يقم جونز بحرق القرآن، ولم يكن واضحاً فيما إذا كان ينوي حقاً تنفيذ هذا التهديد.

إنّ ما نشهده ليس محض تحوّل بسيط في بنية النموذج الاجتماعي والواقعي، بل هو إعادة بناء أساسية لما هو طبيعي، وما هو غير طبيعي في الديانات، وإنّ انتشار التطرف شرقاً وغرباً، والمتعصّبين حذو النعل بالنعل، والمتشددّين وأتباعهم، والذي يعيشون بصورة طبيعية على الهامش، قد انتشروا في كلّ مكان كالنار في الهشيم، لقد صاروا ظاهرةً عالميةً في الحجم والنطاق.

والمفارقة هنا، تكمن في أنّ المجتمعات الحقيقية قد اختفت تقريباً في الوقت، الذي صرنا فيه متصلين بصورة مستمرة مع مجتمعات افتراضية متخيّلة، فبدل أن يتحدث كلّ شخصٍ مع الآخر وجهاً لوجه، يفضل الناس التواصل من خلال الكتابة النصّية عبر الفيسبوك والتويتر ومنصّات شبكات التواصل الاجتماعي الأخرى،

فصار الشباب أكثر اغتراباً من ذي قبل. وفي عصر تمّ وأد المعنى فيه، يفتش الشباب عن المعنى في حيواتهم المغترية على الدوام، والتي تشي بنزعة اللايقين والغموض.

إنّ عناوين الصحف الحديثة تُظهر لنا الشباب الذين يلودون بقضية الدولة الإسلامية، وهذه ليست ظاهرة المعذنين في الأرض أو المهمّشين، إنها ظاهرة عالمية، وهي ثمرة الأزمنة ما بعد الطبيعية؛ إذ لا يمكن ملء الفراغ الذي تشكّل في عقول الناس عن الله إلا من كلّ أمرٍ مُذهِل.

إنّ تحليل كلّ من هانز كونج^(٤) وطلال أسد^(٥) وكارين آرمسترونج^(٦) يشير إلى أنه غالباً ما يتمّ التعبير عن الدين بوصفه ضرباً من ضروب الإيمان بقيم المطلق، لكنه ليس إيماناً في الأمور الخارقة للطبيعة، بل هو إيمان بقدرة المرء على امتلاك الحقيقة المطلقة. لقد تغلّت الدين من عقل حدود الإيمان وصار صيرورةً لصنع القرار، وصار في صدام محتوم مع الأشكال الأخرى لصنع القرار بما فيها السياسة، والعلوم، والدولة، والعلمانية. وأصبح الدين في الزمن الحاضر المصدر الوحيد لليقين لكلّ المؤمنين، وكلّ هجوم على الدين ينظر إليه بوصفه هجوماً على كينونة الذات أو تنازلاً عن المبادئ الدينية، التي يُنظر لها بوصفها فقداً لكينونة الذات، إنّ فقدان كينونة الذات لأمر خطيرٌ.

وفي خضمّ الأزمنة ما بعد الطبيعية، ستتشبّع هذه الظاهرة إلى نطاقات كثيرة؛ سوف تشخص دورة الذات الضائعة أماننا معلنةً عن أمرٍ لا يُحتمل، ويتمّ إعادة كتابته على منصّة التويتر (X) بصورة لا متناهية من خلال شبكة الاتصال الاجتماعي، حتى يحقّق شيوعاً افتراضياً كبيراً وخارج السيطرة، ثم تتطور هذه المنصة لتجمع الناس معاً فقط لتفرّقهم، وتدمّر ذواتنا في خضمّ هذه التحوّل.

وفي سياق الأزمنة ما بعد الطبيعية، تتضافر أفعال الأفراد العُزل على مسرح نصّ مسرحيّ مركّب، تُشكّله الصور النمطية المزيّفة، والجهل المتفشّي في كلّ مكان. ورغم ذلك، فيمكن للأفراد أنفسهم أن يعيشوا في شرنقةٍ منعزلةٍ، كونهم عُرضةً لآراء تعكس

تصوّراتهم، ثم يستطيعون اكتساب كلّ المهارات الضرورية والأدوات اللازمة لتنفيذ خططهم بنقرة واحدة على فأرة الحاسوب، فأنت موجودٌ في واقعٍ طبيعيٍّ مُصنَّعٍ؛ إنه مجال يُصنع على أعين الناس، ليمنحك الانطباع بأنّ كلّ فردٍ له معتقداتٌ تُشبه معتقداتك، ويفكرُ مثلك، ويتصرّف على شاكلتك، ويروم أشياءً بعينها مثلك. ولو كنتَ مؤمناً، فأنت على مرمى خطوة صغيرة من الاستنتاج من أنّ الأمر كله مرهونٌ بإرادة الخالق وهذا ما أَراده لك الله.

تُشكّل الأزمنة ما بعد الطبيعية شعوراً من العجز في كلّ من لديه ميولٌ دينيةٌ وروحيةٌ. في عالمٍ يفتقرُ إلى المنطق، صار المعنى كسرابٍ بقيةٍ، إلا أنّ حنيناً للمعنى يزداد - وغالباً ما نجده حيثما نبحثُ عنه، والمعتقدات تُترجم إلى هويةٍ ومعنى. إنّ هذا الجنون من هوية الذات، وبعيداً عن تقديم حسٍّ حقيقيٍّ بالانتماء والمعنى، يزيد من نزعة الاغتراب.

ورغم ذلك، فلم تكن ثمة حاجة أكبر للبشرية والمجتمعات من تلك التي نراها لقيم دينيةٍ أصيلةٍ وروحيةٍ. إنّ الكثيرَ من تناقضات الأزمنة ما بعد الطبيعية، تتطلب بالضرورة قيماً قديمةً الماهية، التي تتضمن قيم التواضع، والصبر، والودّ، والرحمة، والتنازل من أجل التسامي. وفي ملتي واعتقادي أن غرض الدين لا يتأتّى في استمرار الإيمان بتفوق الذات، بل في إظهار المودة، والرحمة، ومدّ يد العون للآخرين. ويمكن معالجة التعدد والتنوّع للأزمنة ما بعد الطبيعية فقط من خلال الاعتراف بأنّ إيمان الآخرين مهمٌّ لهم بالطريقة نفسها، التي نرى فيها أهمية إيماننا. وعلاوة على ذلك، لا بدّ أن ينبري الدين لمحاربة الجهل بكلّ أطيافه، وينظر إلى نزعة اللاتيقين ليس بوصفها تهديداً، بل فرصةً لتشكيل مستقبلٍ يتطلّع له الجميعُ.

والتفاؤل الجميل يشخص في مبادرةٍ معروفةٍ في الدنمارك "عائق إرهابيا"؛ إذ يرحّب المواطنون بالمهاجرين الذين فرّوا من سوريا للانضمام لداعش، في محاولة لمساعدتهم على التأقلم، وليس من خلال نبذهم.^(٧)

جعلت الأزمنة ما بعد الطوعية من ١٤٠ شخصاً أقوى من أي اقتباس نتوسل به في النصّ الديني. ها قد عدنا إلى لغز فاريس، ولم يبق أمامنا إلا التساؤل: من سيحيا ومن سيعيش؟. ثم نجد أنفسنا مُكرهين على التساؤل: أين نريد أن تكون السلطة في المستقبل؟.

المراجع

- (١) مارتين، جورج ر. ر. لعبة العروش (أغنية الثلج والنار، الكتاب الأول)، نيويورك: مطبعة هاربر فوياجر، ٢٠١٤م، نيويورك، ٢٠١٢م.
- (٢) بولسون، ميشيل. "فريد فيليس، الداعية المناهض للمثليين والذي استهدف الجنائز العسكرية، توفي في سن ٤٨"، صحيفة النيويورك تايمز، ٢٠ آذار، ٢٠٤١م.
- (٣) هاريس، بول. وجالاجير، بول. "تحدي تيري جونز برغم الجرائم التي ارتكبت في أفغانستان حول حرق القرآن"، صحيفة الجارديان، ٢ نيسان، ٢٠١١م.
- (٤) كونج، هانز. اللاهوت في الألفية الثالثة: رؤية كنسية موحدة. ترجمة: بيتر هينج، نيويورك: مطبعة دبل دي، ١٩٨٨م.
- (٥) أسد، طلال. جينولوجيا الدين: المنهج وأسباب السلطة في المسيحية والإسلام، بالتيمور، ميرلاند، مطبعة جامعة جون هوبكنز، ١٩٩٣م.
- (٦) أرمسترونغ، كارين. التحولات الكبرى: بداية التقاليد الدينية، نيويورك: مطبعة راندوم هاوس، ٢٠٠٦م.
- (٧) روسين، حنا. "كيف ساندت البلدة الدنماركية الشباب المسلمين الانفكاك من قبضة داعش"، الإذاعة الوطنية العامة RPN، ١٥ تموز، ٢٠١٦.

المستقبل الإسلامي في الأزمنة ما بعد الطبيعية

ضياء الدين سردار

تمهيد

الخطاب الإسلامي المعاصر هو في جُلِّه مجال مستقبلي حُرّ، فلا بدّ أن يكون المستقبل موضوعاً يُشغل كلّ مسلم. ورغم ذلك، فإنّ الحديث عن المستقبل هو موضوعٌ غائبٌ بصورةٍ واضحةٍ في الدوائر الإسلامية.

ولكن ما السبب؟ فلا جدوى من أننا لا نكاد نعرّ على عملٍ بحثيٍّ يتطرّق لمستقبل الإسلام والمجتمعات الإسلامية، التي يمكن للمرء أن يتصدّى لدراساتها. ثمة بعض الكتب تظهر فيها كلمة "المستقبل" في العناوين، لكن عبارة "المستقبل" هنا هي مجرد ملحق؛ فليس هنالك اعتراف بأن "المستقبل" مجال معرفي متطور وشديد التركيب والتعقيد، للاستكشاف والدراسة.

وبالنسبة لكتاب يرقى لمستوى عنوانه، لا بدّ لنا أن نلتفت إلى كتاب ولفريد سكاوين بلانت "مستقبل الإسلام".^(١) لقد كان بلانت مهتماً ببعض الاتجاهات في المجتمعات الإسلامية، التي تُشير إلى مستقبلٍ بأمّ عينه، ويوضح بلانت بعض المكونات الأساسية للتحليل القائم على المستقبل؛ ويروم هذا التحليل فهم التغيير ومعدل التغيير، ويتصدّى للاتجاهات واستقرائاتها؛ وذلك للتمكن من رؤية نوع المستقبل الذي يمكن توليده. وهذا تحليل يتكئ على صياغة السياسات، واتخاذ الإجراءات في الحاضر، وذلك لتعزيز فكرة المستقبل المنشود.^(٢) كما يوضح بلانت فكرة جوهرية أخرى، هي: إذا لم ينخرط المسلمون في التفكير في مستقبلهم الخاص بهم وصياغته، فسوف يقوم الآخرون بهذه المهمة عن طيب خاطرٍ نيابةً عنهم.^(٣)

إنّ الطريقة الوحيدة للخروج من هذا المأزق الحالي، هو التفكير بطريقةٍ جريئةٍ في سياق الأزمنة المستقبلية طويلة المدى، ونحتاج لرسم خريطة الطريق نحو

مستقبل نتطلع له، ونطور الرؤى في إدارة واستشراف التغيير، والعمل بصورة منهجية، لتحقيق الأهداف المنشودة. وعلاوة على ذلك، نحن بحاجة للشجاعة الفكرية والخيال الفكري، لنتمكن من تخيل ما بدا لنا مستحيلاً في بعض الأحيان، ولتطوير الأفكار التي نراها حتى هذه اللحظة ضرباً من الهرطقة أو الأفكار التي لا وجود لها سوى في الهامش، ونحن بحاجة لأن نتصور طرقاً بديلة لما يعنيه أن يكون المرء "مسلياً" في العقود والقرون القادمة. وبعبارة أخرى، نحن بحاجة لتطوير وعي بالمستقبل نابض بالفاعلية والحياة.

رسم حدود المستقبل

ماذا أعني بالضبط بكلمة "وعي المستقبل"؟ أعني تفهم التغيير المتسارع، وهو إدراك للطاقات الكامنة والمخاطر، التي تلوح في الأفق في المستقبل غير البعيد، وهو التزامٌ بتشكيل المستقبل الذي نعول عليه.

إنّ التفكير في المستقبل أمر فيه رهبة وتعتوره المشقة. المستقبل مجهولٌ؛ وفي عرف المسلمين فهو يقتصر على مجال "إرادة الخالق". وتصبح المشقة مضاعفةً بسبب حقيقة مفادها أنّ المستقبل لا وجود له حتى هذه اللحظة؛ فهو زمنٌ لم يصل بعد. ورغم ذلك؛ ولأنّ المستقبل لا وجود له الآن، ولا يستطيع أن يشخص في اللحظة الراهنة، فهذا لا يعني أننا لا نستطيع دراسته، وتطوير الأفكار، والصور، والاستعارات حوله، ونسعى لفهم وتشكيل اتجاهاته. قد يكون المستقبل مختلاً، ويفتقر لنزعة اليقين، لكنه مجالٌ نستطيع أن نمارس عليه بعض السلطة.

كيف نستطيع أن نُشكّل المستقبل بصورة استباقية للمجتمعات المسلمة قبل جيل أو جيلين من اليوم، أو قبل عشرين أو أربعين عاماً من الآن؟

نحن بحاجة لأداتين أساسيتين؛ نحتاج إلى الفهم والتصور لما ينتظره المستقبل منا إذا استمرت الأمور على ما هي عليه. ونحن بحاجة للصورة، والرؤية، والإمكانات البديلة، وهي: الأزمنة المستقبلية التي نُعوّل عليها ونجدها الأكثر جدوى. وكلتا

الأداتين تتطلبان الإبداع والخيال؛ وهنالك أنواعٌ مختلفةٌ من الأساليب، التي نتعامل معها لكلٍ منهمجٍ على حدة.

رسم معالم الماضي

إنَّ الأزمنةَ المستقبليةَ هي ثمرةُ القرارات التي اتخذها أسلافنا في الماضي، فكلُّ المجتمعات لها تاريخٌ حيٌّ، نصفه غالباً محتشداً بالتراث، وهو الذي يُشكِّل هوياتها؛ فمستقبل بلا هوية ليس مستقبلاً على الإطلاق. ورغم ذلك، فليس كل تاريخنا له دورٌ في صياغة أزمتنا المستقبلية.

ولنتأمل أيضاً فكرة أن "الإسلام منهجٌ حياةٍ كامل". إنَّ هذه الجملة تقتضي أن كلَّ قضايا الأخلاق، والقيم، والقانون، وأساليب الحكم، وكل أشكال الحياة البشرية، قد صارت راسخةً في متن التاريخ. ولو كان الأمر على هذه الشاكلة، فإنَّ التطور الأخلاقي والقيمي، وتطورات القانون والقضايا الأخرى الحاسمة في الفكر الإنساني قد وصلت إلى طريقٍ مسدودٍ.

بمعنى نحن مسؤولون عن الحقيقة، التي مفادها أن المجتمعات الإسلامية تنجرفُ من مستقبلٍ لا ترضاه إلى مستقبلٍ آخرَ لعدة قرون، وهي تمثِّل التهديد الأخطر لتشكيل الأزمنة المستقبلية الأكثر قابلية للحياة والتطبيق، والأكثر فائدة لنا نحن.

يزخر تاريخ المسلمين بمفاهيم تشي بممكّنات تحريرية تفتح الأبواب على مصاريعها لمستقبل ينطوي على بدائل كثيرة. وربما تكون الفكرة الأكثر استشرافاً هنا، والتي تروم تشابكاً مستمراً مع الحاضر والمستقبل معاً هي فكرة الاجتهاد، الذي يترجم عادة إلى "المنطق المستقل". وبصورة جليّة، فإنَّ المنطق ليس أمراً يمكن القيام به مرة واحدة بصورة كاملة ونهائية؛ فالمنطق يقودُ إلى الابتكار، فهو معني بالتفكير بجراًة ترتقي بالتخييل حول الممكن، والمحتمل، والأقل احتمالاً، والأزمنة المستقبلية المنشودة.

ويمكن لنا أن نُبصرَ في حياة النبيِّ محمد -عليه الصلاة والسلام- وعياً بالمستقبل، ومثالنا هنا هو أنه قد حرّم قطع الأشجار، والصيد في البراري وفي الغابات، التي تتحلّق المدن؛ لأنها تزود البشرية والحيوانات بالقوت والأرزاق، ويشكّل الحزام الأخضر مصدرَ حماية أيضاً. لقد تم التخطيط للهجرة بصورة دقيقة، وقد تم تطهير الطريق إلى الهجرة بصورة ممنهجة لعدة شهور. وقد استشرّف النبي -عليه السلام- انتفاضة قريش ضده، وتنبأ بمعركة الخندق قبل أشهر من وقوع النزاع، وتهيأ للدفاع عن المدينة من خلال حفر خندقٍ حول المدينة، والذي حال دون وقوع نزاعٍ مهول. وأزعم أنّ الإسلام ينطوي على رؤية مستقبليةٍ ضمنية؛ فالإسلام يُصرُّ على أنه ينبغي على المؤمنين صياغة مستقبلهم بصورةٍ فعّالة.

رسم معالم الحاضر

إنّ اللحظة الراهنة في التاريخ هي الحاضر، وثمة دورٌ طبيعيٌّ للحاضر في تحديد الأزمنة المستقبلية، لكن هذا الحاضر ليس ثابتاً. ففي الواقع، إنّ هذا الحاضر صيرورة متغيرة للأبد. ولهذا، فنحن بحاجة لأن نُبصرَ الحاضر بوصفه ديناميكياً، متغيراً ودائماً ينطوي على عناصر ومواقف جديدة للواقع المعاصر.

وثمة خمسة عناصر لهذا الواقع الديناميكي، الذي نحتاج أن نتأملَه لصياغة أزمنة المستقبل المستدامة، هي:

أولاً: الحقيقة الجليّة، التي مفادها أننا نعيش في عالمٍ مركزه العولمة.

ثانياً: إنّ المشكلات التي نواجهها في الوقت الحاضر ليست بسيطةً.

ثالثاً: نحن دائماً على حافة الفوضى.^(٤)

رابعاً: إنّ الحاضر مدجّجٌ بالتناقضات ولا يمكن حلّها، بل يمكن فقط تخطيها.

خامساً: إنّ نزعة اللايقين هي النزعة المعيارية.^(٥)

وثمة خيارات أخرى؛ أزمنة مستقبلية محتملة، خليطٌ من الاحتمالات المتنوعة

التي يمكن لنا تخيلها؛ أزمنة مستقبلية ممكنة، وهي أزمنة مستقبلية نستطيع أن نحددها، بالنظر إلى الزخم التاريخي والظروف الحالية، والتي تشي باحتمالية عالية التحقق، والأزمنة المستقبلية والتي نتطلع لها، ونرومها قلباً وقالباً، ونعمل بكلّ وعينا صوب تحقيقها.

إعداد العدة للمستقبل

ولنفترض أننا نطرح سؤالاً على عينة عشوائية من المسلمين عن نوع المستقبل، الذي يتصورونه لمجتمعاتهم، فمعظم هؤلاء يريدون بالتأكيد مستقبلاً خالياً من الطائفية والصراعات الأهلية، والعنف والترهيب، والتعذيب والوحشية؛ إذ يتسنى لأطفالهم أن يترعرعوا ويستووا على سوقهم بصورة صحيّة؛ إذ يكون المجتمع متصالحاً مع نفسه ومع الناس بمختلف العقائد، وينعم بالسلام مع أناس قليلي الإيمان أو غير مؤمنين أصلاً.

نحن بحاجة لقاعدة جديدة نتكئ عليها للمضي قدماً، وهذا يتطلب منا استرجاع الإنسان في الخطاب الإسلامي؛ فالنبي لا يُنظر إليه بوصفه إنساناً عادياً، بل على العكس مما يصرّح به القرآن، يُنظر إليه بوصفه إنساناً خارقاً تظهر أفعاله أمامنا بصورة مثالية، وعلى المسلمين أن يقتدوا بها في أدقّ التفاصيل. والمشكلة هنا تكمن في أنه إذا كان كل شيء هبة من الله، فلا دور للجهد البشري والخيال، وليس هنالك فاعلية جوهرية للمؤمنين، وليس هنالك ميكانزم يستنه المسلمون لتطوير الفكر الديني والأخلاق، وليس هنالك وسيلة لبناء منظومة القيم للأزمنة في وقتنا الحاضر. ثمة شرطان لإعداد العدة والعمل صوب تحقيق الأزمنة المستقبلية الممكنة والأفضل والنابضة بالحياة، هما:

أولاً: الغاية التي يتشبّث بها المسلمون فوق كلّ غاية؛ فرض حقيقة واحدة على مجتمع متنوّع وعالم متعدّد.

ثانياً: نحن بحاجة لفهم حقيقة مفادها أنّ الشريعة هي بناء بشري لإنسان يعتريه النقص عبر التاريخ.

خاتمة القول

وفي خضمّ بحثنا عن المستقبل الأفضل والأكثر جدوى للإسلام والمجتمعات الإسلامية، يتعيّن علينا ضمان أنّ المستقبلَ منفتحٌ على كلّ الإمكانيات المحتملة والمعارضة، فلا ننتظر الأشياء، كي تتغير من تلقاء نفسها، بل نقوم بتغيير الأشياء بصورةٍ فاعلةٍ؛ وبهذا نصنع التاريخ.

وحتى الآن إنّ المشكلة الأكثر تعقيداً في التفكير حول مستقبل من منظور إسلامي، هي غياب وجود لغة مناسبة. واللغة ليست مجرد وسيلة للتواصل، بل هي وسيلة يتمّ التفاوض من خلالها من أجل البقاء مع حاجتنا الاجتماعية والثقافية. وبناء عليه، ثمة حاجة ملحة لإدخال خطاب إسلامي جنباً إلى جنب مع الوعي المستقبلي، وتطوير لغة خاصة لتحفيزنا للنظر قُدماً إلى الأمام بدلاً من النظر فقط إلى الخلف.

المراجع

- (١) بلنت، ويلفريد سكوين.. مستقبل الإسلام، (لندن، ١٨٨٢) أعيد طبعه من قبل أكاديمية سيند ساجارا، لاهور، كل الاستشهادات مستلة من هذه الطبعة، ١٩٧٥ م.
- (٢) انظر: سردار، ضياء الدين. المستقبل: لبّ الكلام، لندن: هودر، مقدمة عامة لكيفية دراسة المستقبل، ٢٠١٣ م.
- (٣) لمزيد من التفاصيل حول ماهية استعمار المستقبل، انظر ضياء الدين سردار، "استعمار المستقبل: منظور الآخر لدراسات المستقبل"، مجلة دراسات المستقبل، العدد ٢٥ (٣)، ١٩٩٣ و "نظرات مستقبلية أخرى: الثقافات اللاأوروبية في الدراسات المستقبلية" تحرير: ريتشارد أ. سلوتور، أسس المعرفة لدراسات المستقبل: اتجاهات ونظرات (المجلد الثالث)، المجموعة الإعلامية/ مركز دراسات المستقبل، هوثورن، فيكتوريا، ١٩٩٦، وضياء الدين سردار، وكتاب إنقاذ كل أزمئتنا المستقبلية: مستقبل الدراسات المستقبلية، تحرير ضياء الدين سردار، لندن: مطبعة أدامتاين، ويستبورت، ولاية كونتيكيت: دار بريجير للنشر، ١٩٩٨ م.
- (٤) لمزيد من التفسير التحليلي لما حدث في سياق نظرية الفوضى، انظر ضياء الدين سردار، تقديم نظرية الفوضى، كامبريدج: دار آيكون للنشر، ١٩٩٨ م، وانظر أيضا مقال "أي فوضى" أي تماسك منطقي؟ عبر النهر الذي سمّيته بنفسه"، تحرير ميكا مانيرما، وسهيل آية الله، وريك سلوتور، التماسك المنطقي والفوضى في الأزمنة المستقبلية المجهولة: الرؤى، الوسائل، الأفعال (توركو: مركز فنلندا لدراسات المستقبل، ١٩٩٤)، و مقال: "الغزوات، الفوضى، التعقيد: صورة الآخر في العلوم الحداثيّة وما بعد الحداثيّة"، مجلة دراسات المستقبل، العدد ٢٦ (٦)، ص ٥٦٦-٢٨٦، تموز/ آب، ١٩٩٤ م.
- (٥) انظر: كتاب اللايقين والمخاطرة: منظورات عابرة للحقول المعرفية، لندن: إيرثسكان، ٢٠٠٨ م.

العلم والعلماء في زمن الأزمئة ما بعد الطبيعية

جيروم رافيتز

ومن أبجديات القول إنّ وسائل تكنولوجيا المعلومات الحديثة، هي ممارسةٌ ثوريةٌ في عدد كبير من الحقول. لقد تمّ تعزيز وتحوّل قوى العلوم البحثية في مجالات كثيرة؛ إنها تطوراتٌ جديدةٌ مهمة، وليس بالضرورة أن تكون "أشكالاً جديدةً" للعلوم. ونحن هنا نتأمل الممارسات والبنى، التي أحدثت صدمة الانبهار والاهتمام عندما تمت ملاحظتها، التي تنطوي على زخم خاص بها لاستدامة التغيير سريع الوتيرة.

السياق التاريخي

قبل قرابة نصف القرن، كان هنالك وعي بين العلماء بأنّ الأشياء قد تغيّرت، وإنّ الوضع الحالي للعلوم هو أحد هذه المتغيرات، التي تنطوي على صيرورةٍ سريعةٍ جداً للتغيير.

يُعدّ الوعي المتغير للعلوم خلال الفترة الماضية آية تذكّرنا بأنّ النظام الاجتماعي والتكنولوجي للعلوم، والمظاهر الفكرية والمادية لهذا النظام متشابكة بعمق كبير.

فقد تمّ إضفاء صبغة "الصناعة" على العديد من مظاهر العلوم: في الحجم الكلي، ونطاق المشاريع الفردية، وفي علاقاتها الوثيقة مع الصناعة. وأصبحت هذه العلوم "مدججة"؛^(١) إذ تشمل في كثيرٍ من الطرق والأساليب شؤون الدولة. ويؤمن بعض العلماء تقريباً بصورة ساذجة بأنهم مطالبون بالجهر "بالحق في وجه السلطة"، في الوقت الذي يرغب فيه عملاؤهم "دليلاً يعتمد على السياسات".

وفي علاقة العلوم بالمجتمع الأكثر اتساعاً، فإنّ طرق التلاعب والتشويه للبحث العلمي، والتي أصبحت في الوقت الحاضر مألوفةً في علاقتها مع الصناعة الربحية، يتم تصويرها بصورة متخففة من سمعتها السيئة، وبصورة لا تقل أهمية في ممارسات الوزارات ووكالات الدولة.

البنى والنشاط العلمي

من المتعارف عليه بصورة شائعة في الوقت الحاضر أنّ الصورة القديمة "للعلماء"، الذين يصنعون الاكتشافات، ثم يقدّمونها للمجتمع أصبحت صورة مسطحة بصورة كبيرة جداً. وإنّ الدوافع للاندماج البحثي أو دعم الأبحاث متنوعة، وإنّ الدافع الأولي للبحث هو مجرد الخطوة الأولى في دائرة متعددة المراحل، وهذه الدائرة تفسّر التعقيد والارتباك، الذي يسود الكثير من الجدل عندما يدمج العلم مع السياسات.

وعلاوة على مخاوفنا الحالية، فإنّ نوعية البحث قد استبدلت الحقيقة بوصفها المبدأ الاسترشادي الأكثر فعالية للعلوم. وهذا المبدأ يتطلب التزاماً أخلاقياً، والذي يجب أن يتمّ رؤيته في ميدان التطبيق على رأس أي مؤسسة. وفي غياب هذا المبدأ، يصبح الفساد والبحوث الجوفاء هي الصورة السائدة والمتبعة.

مكانة الأشخاص

ثمة اعترافٌ متزايدٌ بأنّ العلوم التي تتواءم مع السياسات، يمكن إنجازها بطريقة أفضل في حال تمّ الاتكاء في المراحل الأولى على الخبرة الأوسع للسياسة، ومستشاري العلوم والخبراء. وأصبح انخراط المواطنين أمراً مقبولاً بصورة متزايدة بوصفه أمراً مرغوباً ومفيداً. وفي الأبحاث العلمية التقليدية، ثمة تقليد مستمر وطويل الأمد لانخراط الهواة ومساهمتهم في الأبحاث العلمية، ولكن تمّ تهميشهم في الآونة الأخيرة واختزال دورهم بوصفهم مساعدين للبحث من ذوي المكانة الأقل. ورغم أنّ الانخراط الأكثر فاعلية يتطور طوال الوقت؛ فإنّ مكانة "العلماء" صارت تتلاشى بصورة تدريجية.

الإجراءات

يُنظر بصورة متنوعة لمثل هذه الصيرورة المشابهة للتغيير بوصفها شكلاً من أشكال الديمقراطية والتآكل، والتي تؤثر على الإجراءات المتبعة للعلوم. ولفترة طويلة، كان هنالك اعتقاد شائع في المنهجية العلمية، وهو أنّ تلك الإجراءات، التي

ينبغي لها العلم هي التي تنتج الإجابات الصحيحة للمشكلات، التي تعالجها بلا أخطاء. ومع زيادة نزعة الالايقين وتعقيد المعرفة والسياسات، بدأ هذا الاعتقاد المحفّز يفقد احتماليته بصورة تدريجية.

إنّ عجز العلماء لتحديد منهجية لا تشوبها أغلوطة منطقية، قد ساهم في تعقيد هذه العقبة. وبالنسبة للنماذج البحثية، فإنّ أفضل ما يمكن قوله في هذا المقام هو النموذج الكلاسيكي "كل النماذج البحثية خاطئة وبعضها مفيد"، ولكن يبدو أنّ هنالك وعياً أكثر عمقاً بهذه المشكلات في المجتمعات العلمية؛ وهذا بدوره ينطوي على التأثيرات المتناقضة، التي تتمثل في تعزيز الإصلاح، والتي تزيد من نزعة السخرية في الوقت نفسه.

الملكية

في الحقبة السابقة، لم تتغير العلاقات الاجتماعية للملكية بسرعة كبيرة؛ فقد كان هنالك انزياحٌ ثابتٌ "للمعرفة العامة" التقليدية، وما اصطلح عليه بـ"المعرفة التي تُدار من قبل الشركات". وعلى أي حال، يبدو أنّ هنالك اعترافاً في الآونة الأخيرة بموقفٍ ينطوي على مفارقةٍ كبيرةٍ في إدارة الملكية الفكرية. وثمة تحذير بأن التقدم في هذا المجال قد يتعرّض من خلال الكمّ المهول من حقوق الملكية، التي تحاصر تفاصيل المعرفة والتقنية اللازمة للقيام للأبحاث.

الدعاية والترويج

إنّ الابتكارَ أكثر سرعة من مرحلة الدعاية والترويج، التي هي بمثابة عصب الحياة للعلوم التي تحتوي على المعلومات. ومن المهم هنا للوعي التكويني للعلوم أنّ الاكتشافَ المفاجئَ بأنّ هنالك اقتصاداً سياسياً للدعاية والترويج المعرفي، ينطوي على إشكالية عميقة. إنّ النشرَ العلمي ليس مجانياً، وتكلفته ليست رخيصةً، وقد

صارت مشكلات التكلفة والتعويض في العالم الرقمي، والتي تغوّلت على المصانع الابتكارية، جزءاً من العلوم. وبفضل النشر الرقمي، يمكن للاستقصاء المستمر أن يكون محور تدقيق لا يتوقّف من الحوار المجتمعي والتطوير، الذي يتبلور من خلال المنتج الذي يتم التعامل معه في هذا السياق.

ضمان الجودة

إنّ تأثيرات التكنولوجيا الحديثة على مجال ضمان الجودة مهولةٌ جداً ومفاجئةٌ. وبصورة تقليدية، يتم إدارة أنظمة ضمان الجودة بصورة كبيرة من خلال جهات غير رسمية وبسرّية عالية. وكما تبين موسوعة ويكيبيديا، فإنّ عمليات التحرير يمكن أن تكون مريحةً وشفافةً. وما كان يُعدّ سابقاً مؤسسةً مغلقةً بصورة ملحوظة، والتي تفتقر للتدقيق الحكومي العام لأعمالها، والصحافة الاستقصائية، أصبحت الآن منتشرةً في كلّ مكان.

الآثار والمآلات

ومع اقتراب نهاية الدورة، ثمة عواقب ومآلات. وبحسب الصورة التقليدية، فإنّ عواقب العلوم وآثارها كانت تعدّ مآلات تنطوي بصورة أساسية على الخير والمنفعة، وتعدّ بصورة كبيرة مآلات حميدة على أرض التطبيق، وبهذا تمكن العلماء بضميرهم الحيّ، أن يُقدّموا منتجاتهم للمجتمع على هذا المنوال. وتعدّ قضية العواقب قضية معروفة وأساسية في الجدالات المتعلقة بالسياسات حول التقنيات الجديدة بالإضافة لجدالات السياسات الأوسع. وسيصبحُ معروفاً لدينا بأنّ العلوم قد ولجت بصورة جذرية حقبةً جديدةً، عندما أصبح تدريس العلوم، التي تنطوي على الشرّ والنزعة التدميرية موضوعات تستحق التدريس، وبوصفها جزءاً من التعليم الليبرالي في العلوم.

دور العلوم ما بعد الطبيعية

كلما تغيّر العالم يكون الوعي متخلفاً عن التطبيق والممارسة. إنّ مهمة اجترّاح أيّدولوجية جديدة للعلوم في ظلّ الظروف الجديدة مطلبٌ مُلحٌ، فقد بلغ فساد المشاريع العلمية مبلغاً متقدماً. وليس هنالك ضماناتٌ بأنّ العلم الذي نعرفه سوف يصمد أمام كل هذه التحديات.

ولهذا ففي خضمّ دراسة الطلبة لحقول المعرفة العلمية، يتم حجبهم تماماً عن مثل هذه المشكلات، ويصبحون مشوشين عندما يواجهون هذه المشكلات على أرض التطبيق والممارسة. وعندما يحاولون مشاركة مخاوفهم مع زملاء الدراسة، يتم نبذهم بوصفهم مروجي المعرفة القلقة، وفي حالات كثيرة، فإنّ أطروحة العلوم ما بعد الطبيعية تُقدّم بوصفها شكلاً من أشكال التحرّر.

لقد فتحت العلوم ما بعد الطبيعية الباب على مصراعيه، لتعدّد وجهات النظر، وحق ارتكاب الخطأ، والوعي بالجهل والتواضع. ومن خلال أفكارها الجوهرية البسيطة، فقد مكّنتنا من رؤية الكيفية التي من خلالها قد عزّزت الصورة الراسخة للعلوم شكلاً من أشكال ضيق الأفق، واللاتسامح والغرور. وفي هذا السياق، فقد صار العلم بوصفه المؤسسي مُجرّأ على رؤية نفسه بصورة واقعية وليس من خلال منظار أيّدولوجي. ويبدو أن هذا الأمر ما زال بعيد المنال.

المراجع

(١) روز، س. وهـ. العلم والمجتمع، لندن: مطبعة ألين لين، ١٩٦٩م.

الإبداع والقيادة في الأزمنة ما بعد الطبيعية

ألفونسو مونتوري وغابرييل دونيلي

مقدمة

تشخص أماننا نزعة التعقيد والتنوع واللايقين في الحياة بصورة مُربكة جداً. إنَّ الخيال، ومظلتها الأكثر اتساعاً الابتكار، يُشكّلان أرضيةً أساسيةً للقدرة على تحيّل طريقة للخروج من مأزق الأزمنة ما بعد الطبيعية. لقد تحوّل الإبداع من ظاهرة غريبة، وغير مفهومة، ومدهشة وهامشية، إلى محركٍ للتغيير الاجتماعي والتحوّلات الاجتماعية.

وفي مثل هذه الأزمنة الانتقالية كأزمنتنا تلك، نحن بحاجة لفهم الجذور التي انحدرنا منها، وكيف تم تشكيلنا من قبل أزمنتنا، كي يتسنى لنا أن نسير للأمام باتجاه مستقبلٍ مختلف.

الجذور التاريخية

وحتى الثمانينات من القرن الماضي، كانت معالم البحث حول الإبداع في الغرب، تتموضع في معظم الأحيان في الحقل المعرفي لعلم النفس. فهو يركّز بصورة أساسية على التكوين الشخصي، وضرورة هذا التكوين، وما ينتج عنه.^(١) إنَّ وحدة التحيّل النفسي كانت تقريباً مقتصرةً على الفرد الاستثنائي أو الفرد البارز.^(٢)

الوجه المتغير للإبداع والقيادة

ثمة تغييرٌ مستمرٌ في الطريقة، التي نفهم من خلالها ماهية الإبداع الإنساني وتطبيقه، والتعبير عنه. يقود الإبداع إلى التغيير، ويقود التغيير بدوره إلى الإبداع، وثمة ثلاثة اتجاهاتٍ رئيسيةٍ تتضمّن استعراض الإبداع بوصفه شبكةً تشاركيةً معقّدة، وعمليةً تعاونيةً، يشارك فيها جميعهم، وليست صيرورةً مقتصرةً على العابرة الاستثنائيين،^(٣)

(٤) وهي تعبيرٌ عن الإبداع بوصفه شكلاً من أشكال القيادة، والقيادةُ شكلاً من أشكال الإبداع. (٥) (٦) (٧) (٨) (٩) (١٠) (١١)

ثمة تحوّل مستمر للقيادة والإبداع من المنظور البطولي والإنسان المثالي إلى صيرورة من العلاقات المنتشرة بين كلّ شخصٍ، وفي كلّ مكان، وفي كلّ وقت. ويمكن أن تكون القيادة شكلاً من الخلق الذاتي في سياق المسؤولية الاجتماعية وتطوير الإمكانيات والبدائل في العالم، فكيف لنا أن نوجّه بوصلة إبداعنا؟ القيادة بحاجة لأن تكون مسؤولةً عن مراعاة وتوجيه وتطبيق الإبداع البشري، ولا بدّ للإبداع من أن يلوذ بالقيادة، التي تنطوي على احتمالاتٍ وفُرصٍ جديدةٍ لتجاوز الأزمته ما بعد الطبيعية.

تحوّلات الإبداع

إنّ البحوث التي تتطرق لعلم نفس الإبداع في الوقت الحاضر، تتضمّن اهتماماً كبيراً بالإبداع اليومي، ونجد الإبداع في الوقت الحاضر ممكناً في كلّ مكان. ويمكن أن نجد الإبداع في الأبحاث الجديدة، التي تتطرق للابتكار، وإبداع المجموعات، وموسيقى الجاز، والتقدير المتزايد "لحكمة الجماهير"، وإمكانية الإبداع "للابتكار المفتوح للجميع"؛ إذ يتمُّ مشاركة المشكلات مع الجمهور؛ حين تتوفر الإجابات المفيدة. (١٢) (١٣) (١٤) (١٥) (١٦) (١٧) (١٨)

تُطرح الأسئلة في الوقت الحاضر حول إمكانية أن يقود ما نسميه بإبداع "الجميع، وكلّ يوم، وكلّ مكان" إلى نرجسية متضخمة، ونمط من الانغماس الاستهلاكي، وإلى التسطّيح لكلّ القيم التي تصنع "جيل الأنا"، والتي تظهر وكأنها قيمٌ إيجابيةٌ للإيثار أو يمكن توجيهها باتجاه تطلّعاتٍ إنسانيةٍ جذيرةٍ بالاهتمام. (١٩) (٢٠) (٢١)

إعادة اختراع القيادة

وفي عصر التحول، لسنا محكومين بمصائر وأدوار ثابتة. ولا تفترض القيادة الجديدة أن يكون الفرد قائداً في كل الأوقات، ويتم النظر للقيادة بصورة متزايدة بوصفها غير هرمية، فهي تستند إلى الاستعداد لسياق ومهمة وموقف محدد.

القبائل والمصانع

يُقدّم لنا كتاب سيث جودين الشهير "القبائل" صورتين فيهما فائدة كبيرة، والتي يمكن أن توجهنا للفهم الناشئ للقيادة؛ وملخص أطروحته هو أننا نسير خارج عصر المصنع، فنحن الآن في عصر القبيلة، ويحتاج بأن "القبيلة" هي "مجموعة من الناس جميعهم متصلون ببعضهم بعضاً ومرتبون بقائد وفكرة".^(٢٢)

إنّ المصانع كبيرة، وهرمية، وغير قابلة للإدارة، وغير مرنة، وتفتقر للابتكار. ففي المصنع، تقتصر القيادة على قلة من الأفراد. إنّ الأوامر والسيطرة هما السمات المركزية للقيادة في المصانع، أما القبائل فهي مرتبطة بشبكة معقدة، وهي مرنة، وغير هرمية، وفيها فسحة لظهور قيادة متعددة المصادر.^(٢٣) لقد أصبحت ديمقراطية القيادة المنظور السائد بصورة متزايدة.

تأملات ختامية

نعيش في الوقت الحاضر في عصر الأزمنة ما بعد الطبيعية. لا شك أنّ الإبداع والخيال ضروريان لاستبصار العالم الجديد، وإنّ الإبداع يقودنا إلى هذا العالم الجديد، وهو الطريقة التي نتصور من خلالها البدائل. وهذا يعني، أنّ الإبداع يتطلب مسؤولية أكبر من أي وقت مضى، فهؤلاء المبدعون هم في النهاية قادة. يتعلّم الناس من العمل الجماعي، ومن خلال الاختلافات، ويطورون معاً حلولاً للمشكلات القديمة نفسها، وقد لا تكون الحياة طبيعية مرة أخرى، ولكن من الممكن أن يكون لدينا أهداف نتطلع لها قديماً في المستقبل.

المراجع

- (١) رنكو، م. الإبداع نظريات ومواضيع: البحث العلمي، التنمية والتطبيق، (امستردام: ال سيفير، ٢٠٠٧م).
- (٢) جلافينو، ف. ب. "نماذج في دراسة الإبداع: تقديم منظور علم النفس الثقافي"، أفكار تجديدية في علم النفس، مجلد ٢٨، ٢٠١٠م.
- (٣) مونتوري، أ. "ما وراء الأزمنة ما بعد الطبيعية: مستقبل الإبداع وإبداع المستقبل"، الأزمنة المستقبلية Futures: مجلة السياسات والتخطيط والدراسات المستقبلية، مجلد ٤٣ (٢)، ٢٠١١م.
- (٤) مونتوري، أ. "الإبداع والربيع العربي"، شؤون الشرق والغرب، العدد ١١ (١)، ٢٠١٣م.
- (٥) بيرنز، ج. م. تحولات القيادة: السعي نحو السعادة، (نيويورك: مطبعة جروف، ٢٠٠٤م).
- (٦) ميهالي، م. تشيكسيتي. التجارة الرابعة: القيادات، التدفق المالي، وصناعة المعنى، (نيويورك: مطبعة بنجوين، ٢٠٠٤م).
- (٧) جاردنير، هـ. العقول القيادية، (نيويورك: مطبعة Basic Books، ١٩٩٥م).
- (٨) هووكر، س. و ميهالي، م. تشيكسيتي. "التدفق، الإبداع، والقيادة المشتركة" في كتاب "القيادة المشتركة: إعادة تأطير الكيفيات والأسباب للقيادة، تحرير: س. ل. بيرس، وج. أ. جونجير، كاليفورنيا: مطبعة سيج).
- (٩) مونتوري، أ. "القيادة التحولية للقرن الواحد العشرين. تأملات في هيكل مناهج القيادات لطلبة الدراسات العليا". مجلة Revision، مجلد ٣٠ (٣-٤)، ٢٠١٠م.
- (١٠) سيمونتون، د. ك. الإبداع والعبقرية والقيادة: تساؤلات تاريخية، كمبردج: مطبعة جامعة هارفارد، ١٩٨٤م.
١١. ستيرنبرغ، ر. ج. "أنظمة نموذج القيادة"، مجلة WICS American Psychologist، مجلد ٦٢ (١)، ٢٠٠٧م.
- (١٢) بارون، ف. "كل التجديد هو محض تعاون جماعي"، في كتاب الإبداع الاجتماعي، تحرير: مونتوري ور. بيرسير، (كريسكيل، نيوجرسي: مطبعة هامبتون، ١٩٩٩م)، مجلد ١.

- (١٣) ويتيلي، م. القيادة والعلم الجديد، (سان فرانسيسكو: مطبعة بيريت كويلير، ٢٠٠٦م).
- (١٤) أنديرياسين، ن. س. الدماغ الإبداعي: علم العبقريّة، (نيويورك: مطبعة بلوم، ٢٠٠٦م).
- (١٥) مونثوري، أ. "تعتيد الارتجال وارتجال التعتيد. العلوم الاجتماعية والفن والإبداع"، مجلة العلاقات الإنسانية، مجلد ٥٦ (٢)، ٢٠٠٣م.
- (١٦) بولوس، ب. ب. و. نيجستاد، ب. أ. (تحرير). الإبداع الجماعي: التجديد من خلال التعاون الجماعي، (نيويورك: مطبعة أكسفورد، ٢٠٠٣م).
- (١٧) شارج، م. اللعب الجاد: كيف قامت أفضل شركات العالم بمحاكاة الابتكار، (نيويورك: مطبعة كلية الأعمال في جامعة هارفارد، ١٩٩٩م).
- (١٨) سورويكي، ج. حكمة الجماهير، (نيويورك: مطبعة أنكور، ٢٠٠٥م).
- (١٩) توفلير، أ. وتوفلير، هـ. الثروة الثورية، (نيويورك، مطبعة Knopf، ٢٠٠٦م).
- (٢٠) جرينبرغ، ي. وجيل، ك. فيبر. "نحن" كيف يتحدث شباب الألفية عن أمريكا وكيف يغيرون العالم للأبد"، (اميرفيل: مطبعة Pachatusan، ٢٠٠٨م).
- (٢١) كامبيل، ج. م. و. ك. وباء الترجسية: العيش في عصر الاستحقاق، (مطبعة York New Free Press، ٢٠١٠م).
- (٢٢) جولدين، س. القبائل، نحن بحاجة كي نقودنا، (نيويورك: مطبعة Portfolio، ٢٠٠٩م).
- (٢٣) سردار، ضياء الدين. ما بعد الحداثة والآخر، لندن: مطبعة بلوتو، ١٩٩٩م.

المؤلفون المشاركون في الكتاب

غابرييل دونيلي Gabrielle Donnelly

كاتبة وخبيرة في التغيّر الاجتماعي والابتكار، حائزة على درجة الدكتوراه في الاستقراء التحويلي من معهد كاليفورنيا للدراسات المتكاملة. وهي زميلة في مؤسسة حلول الحكمة الجماعية Collective Wisdom Solutions، وهي هيئة استشارية تعمل مع القطاع العام والخاص غير الربحي، لتنفيذ الأفكار على أرض الواقع، ومقرّها هاليفاكس، مقاطعة نوفا سكوشا، كندا.

شيرين إيلاهي Shirin Elahi

خبيرة في دراسة المخاطر واللايقين والتغيير وتخطيط السيناريوهات. حاضرت في مركز سعيد للأعمال في جامعة أكسفورد؛ والكلية العليا للتجارة في باريس؛ والمعهد الدولي لتحليل النظم التطبيقية (IIASA) في لاكسنبورغ بالنمسا، ومركز بنفيلد جريج لأبحاث المخاطر بكلية لندن الجامعية. كما تعمل مديرة مسؤولية لشبكة سيناريوهات الهندسة العمارة Scenarios Architecture، وهي هيئة استشارية استراتيجية تضم شبكة من المتخصصين في المخاطر العالمية المعقدة.

سيلفيو فونتوفيتش Silvio Funtowicz

سبق له أن درّس الرياضيات والمنطق وأساليب البحث العلمي في بوينس آيرس في الأرجنتين. كان أيضاً أستاذاً زائراً في مركز الأبحاث المشتركة للجمعية الأوروبية في مدينة إسبرا في إيطاليا؛ إذ عمل سنوات طوال بوصفه فيلسوفاً تحليلياً في حقل دراسات العلوم والتكنولوجيا. قام بالتعاون مع جيروم رافيتز بتأسيس نظام الترميز المكتوب NUSAP، لتشخيص نزعة اللايقين، والدراسات النوعية في التعبيرات الكمية، وقام بتقديم مفهوم العلوم ما بعد الطبيعية. يعمل حالياً أستاذاً في مركز الدراسات العلمية والإنسانية (SVT) في جامعة بيرجين في النرويج.

سكوت جوردان Scott Jordan

فيلسوف وأستاذ في العلوم السياسية، يعمل في المركز العالمي الآسيوي في جامعة كريتون في أوماها، في ولاية نبراسكا. وهو عضو في الائتلاف الدولي لمناهضة جرائم القتل، وقد عمل جوردان مع مؤسسة سونغ تشينغ لينغ في جمهورية الصين. وله مساهماتٌ بحثيةٌ بصورةٍ مستمرةٍ مع مجلة المسلم الناقد Quarterly Critical Muslim، ويستضيف جوردان برنامجاً إذاعياً بودكاست عن آسيا "Tea Talk Asia". ومحور أبحاث جوردان تركز على مجالات الأزمنة ما بعد الطبيعية للسياسات الدولية، والسياسات والحوكمة، التي يتصدى لتحليلها عادةً من خلال الأفلام. وهو زميلٌ باحثٌ لمركز السياسات ما بعد الطبيعية والدراسات المستقبلية.

ألفونسو مونتوري Alfonso Montuori

أستاذ في قسم الدراسات الاستكشاف التحويلي في معهد كاليفورنيا للدراسات التكاملية، وهو مؤلفٌ لعددٍ من الكتب حول الإبداع، والتعقيد، والتغير الاجتماعي، والإدارة، والتربية، بالإضافة إلى مشاركته في تحرير مجلدين هما الإبداع الاجتماعي (مطبعة هامبتون، ١٩٩٩م)، وكتابه الأحدث هو الارتحال في فضاء التعقيد (مطبعة راوتليدج، لندن، ٢٠١٥م). وهو مدير التحرير لسلسلة التقدم في نظرية النظم، والتعقيد، والعلوم الإنسانية في مطبعة هامبتون، وأيضاً هو محرر مشارك في دورية الأزمنة المستقبلية العالمية: مجلة التطور العام World Futures: The Journal of General Evolution.

جيروم رافيتز Jerome Ravetz

فيلسوف مرموق عالمياً في حقل العلوم، وهو معروفٌ بأعماله الجريئة حول المخاطر، والموضوعية العلمية وتاريخ العلوم. ويعد كتابه المعرفة العلمية ومشكلاتها الاجتماعية (مطبعة جامعة أكسفورد، ١٩٧١م) عملاً كلاسيكياً تأصيلياً. لديه كتب أخرى منها على سبيل المثال: دمج المعرفة بالسلطة (مطبعة كاسيل، لندن،

١٩٩٠م)؛ وقد شارك في تأليف كتاب نزعة اللايقين والدراسات النوعية في العلوم لوضع السياسات مع الباحث سلفيو فونتفيتش (كلووير، دوردريخت، ١٩٩٠م)؛ وبالتشارك مع المفكر ضياء الدين سردار قام بتأليف المستقبل الإلكتروني (مطبعة بلوتو، لندن، ١٩٩٧م) والتقديم لعلم الرياضيات (مطبعة آيكون، كمبردج، ١٩٩٨م). يصنّف رافيتز بوصفه الأب الفكري للعلوم ما بعد الطبيعية، إذ طوّر بالتعاون مع سيلفيو فونتفيتش أيضاً أنظمة الترميز "NUSAP" لتمثيل نزعة اللايقين في المعرفة الكمية. يشغل حالياً منصب زميل باحث في معهد جيمس مارتن للعلوم والحضارات في جامعة أكسفورد.

ضياء الدين سردار Ziauddin Sardar

كاتب وعالم مستقبليات وتربوي، ومفكر وناقد ثقافي بريطاني من أصل باكستاني، متخصص في الإسلاميات والدراسات الثقافية والمستقبلية. اختارته مجلة بروسبكت، بوصفه واحداً من أشهر ١٠٠ مثقف في بريطانيا، كما كتبت عنه صحيفة الإندبندنت مقالاً بعنوان "بريطانيا لديها علامة مسلم".

نشر ما يربو على ٥٠ كتاباً، من أهمها: "إنقاذ جميع أزمنا المستقبلية (أدامنتاين، نيويورك، ١٩٩٨م)، و"الإسلام وما بعد الحداثة، والأزمة المستقبلية الأخرى: دليل ضياء الدين سردار" (بلوتو، لندن، ٢٠٠٣م)، و"المستقبل: كل ما له أهمية" (هودير، لندن، ٢٠١٣م). عمل محرراً لمجلة المستقبليات Futures، منذ عام ١٩٩٩م حتى عام ٢٠١٢م، يشغل حالياً منصب رئيس تحرير مجلة "المسلم الناقد: Critical Muslim" الفصلية، ومدير مركز السياسات ما بعد الطبيعية والدراسات المستقبلية.

جوردي سيرا Jordi Serra

باحث في الدراسات المستقبلية، ومستشار، وتربوي. وهو أستاذ مشارك في كلية علم الاتصالات والعلاقات الدولية في بلانكيرنا، جامعة رامون لول، في إسبانيا. كان رئيس قسم أبحاث الاستشراف، ومركز إدارة المخاطر في جامعة برشلونة

المستقلة. وهو عضو في هيئة تحرير مجلة المستقبليات Futures، ومجلة مراجعات الأزمنة المستقبلية العالمية World Futures Review، ومجلة معهد الإدارة العامة في المكسيك Revista IAPEM. نشر سيرا عدداً من المؤلفات باللغة الإسبانية، كان أحدثها سفرًا طبع بالإسبانية حول "الذكاء والتحليل المستقبلي: إدارة نزعة اللايقين" (٢٠١٤).

جون سويني John Sweeney

باحثٌ في دراسات المستقبل، ومستشارٌ وتربويٌّ. عمل في الجامعات، والوكالات الدولية للتطوير والقضايا الإنسانية، والمراكز غير الربحية، والمؤسسات التربوية والثقافية مثل اليونسيف UNICEF، واليونسكو UNESCO، والمركز العالمي لخدمات التميز العامة والتابع لهيئة التطوير للأمم المتحدة، ومركز الأبحاث المشترك للمفوضية الأوروبية، والاتحاد الدولي لجمعيات الصليب الأحمر. قام بتأليف مشترك لكتاب "الوسائط التحويلية: تكنولوجيا الاتصال وعلاقات القوة في الماضي والحاضر والمستقبل (مطبعة سبرنجر، دوردرخت، ٢٠١٥م)، وهو نائب مدير مركز السياسات ما بعد الطبيعية والدراسات المستقبلية.

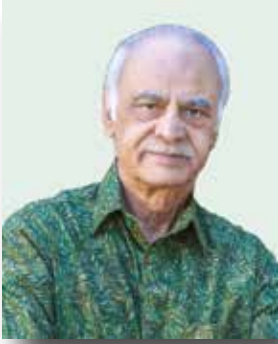
مركز السياسات ما بعد الطبيعية والدراسات المستقبلية (CPPFS)

وهو مركز يضم شبكة استشارية لدراسات الأبحاث الدولية وصلب اهتمامه ينصبُّ على الشعوب والمجتمعات المهمشة. يروج المركز لثقافة تعليم والدراسات المستقبلية وفهم الأزمنة ما بعد الطبيعية، التي تركز أيضاً على إيجاد وسائل جديدة لمعالجة المواقف والظواهر المتناقضة والفوضوية والمعقدة. ويهدف المركز أيضاً إلى تعزيز الاستقراء البحثي النقدي، وتعلم ممارسات التطبيق على أرض الواقع، والخيال الأخلاقي لصياغة أزمنة مستقبلية بديلة وتشي بنزعة التحرر والتحرير.

المترجم: تيسير أبو عودة

أستاذ مشارك في الأدب الانجليزي والنقد الأدبي وهو كاتب ومترجم وناقد أدبي. كان تيسير أبو عودة أستاذاً زائراً في جامعة كاليفورنيا / سان دييغو عام ٢٠٠٩، وعمل أيضاً أستاذاً محاضراً في جامعة ميدلبري في كاليفورنيا سنة ٢٠١٥، وجامعة إنديانا/ بنسلفانيا ٢٠١٤، وفي الجامعة الأردنية وغيرها من الجامعات الأردنية. ومن أهم اهتمامات أبو عودة البحثية: الأدب العالمي، والليبرالية الجديدة، و دراسات الاستشراق وما بعد الاستشراق، والمثقف والمنفى، وتظاهرات أدب ما بعد الاستعمار، والعالم الثالث والمنهج الطباقى والأسلوب المتأخر، والعلمانية والحداثة والإسلام، وتشكلات الدولة ما بعد الاستعمارية في الشرق الأوسط وعلاقتها البنيوية بالنظام العالمي الجديد وتظاهرات الليبرالية الجديدة والأوروبية العالمية، والتراث والدراسات الثقافية. له عدد من المؤلفات والترجمات من أهمها: كتاب: عزاءات المنفى: الذات تطل على نفسها، وترجمة كتاب الليبرالية تنقلب على نفسها للمفكر الأمريكي صامويل موين، و ترجمة وتحرير مشروع أنطولوجية شعرية بعنوان You Must Live بمشاركة الكاتبة Bloor Sherah من جامعة هارفارد، والمحرة الشاعرة الأمريكية Jorie Graham، الحاصلة على جائزة Pulitzer. وهو عضو ناشط في الجمعية الأمريكية لدراسات الأدب المقارن (ACLA)، والجمعية البريطانية لدراسات الشرق الأوسط BRISMES، وهو محرر استشاري في مجلة Holy Land and Palestine Studies .





صدر عن المعهد العالمي للفكر الإسلامي

مختصر كتاب: المجتمعات المسلمة في الأزمنة ما بعد
الطبيعية: استشراف التيارات، والقضايا الناشئة،
والسيناريوهات
ضياء الدين سردار، جوردي سيرا، سكوت جوردان
فقه الحُسن: المعرفة الإسلامية لعلم الجمال وفلسفة الفن
إدهام محمد حنش

الإيمان وتحولات العلم والعقل: تجديد الدرس العقدي
في السياق العربي
إبراهيم إسماعيل

فلسفة الإعلام والاتصال: النظريات ورؤى العالم
محمد بابكر العوض عبد الله
التشريع البيئي من خلال تراث نوازل الغرب الإسلامي
عبد الحكيم شتوي

موسوعة منظومة القيم الكونية في القرآن الكريم:
أسسها المعرفة والمنهجية وتطبيقاتها
إعداد: فريق البحث بالمركز المغربي للدراسات والأبحاث التربوية
الرؤية الأخلاقية في فكر أبي حيان التوحيدي
سمير فريدي

التوحيد ومضامينه في الفكر والحياة
إسماعيل راجي الفاروقي
الثقافة الإسلامية: نحو تأسيس علم الثقافة الإسلامية
عزمي طه السيد أحمد

الإتقان في العمران الإسلامي: المفهوم والنظرية والتطبيق
صالح بن طاهر مشوش

ضياء الدين سردار

كاتب وعالم مستقبليات وتربوي، ومفكر وناقد
ثقافي بريطاني من أصل باكستاني، متخصص في
الإسلاميات والدراسات الثقافية والمستقبلية. اختارته
مجلة بروسبكت، بوصفه واحداً من أشهر ١٠٠ مثقف في
بريطانيا، كما كتبت عنه صحيفة الإندبندنت مقالاً بعنوان
بريطانيا لديها علامة مسلم".

نشر ما يربو على ٥٠ كتاباً، من أهمها: "إنقاذ جميع
أزمئتنا المستقبلية"، و"الإسلام وما بعد الحداثة"،
و"الأزمة المستقبلية الأخرى: دليل ضياء الدين
سردار"، و"المستقبل: كل ما له أهمية". عمل محرراً
لمجلة المستقبليات Futures، منذ عام ١٩٩٩م حتى
عام ٢٠١٢م، يشغل حالياً منصب رئيس تحرير مجلة
المسلم الناقد: Critical Muslim الفصلية، ومدير
مركز السياسات ما بعد الطبيعية والدراسات
المستقبلية.



هذا الكتاب

نحن نعيش في حقبة من التغيّر المتسارع؛ إذ خرجت علينا اتجاهات ومخرجات تكنولوجية وأزمات مستجدة، أحدثت تحولات جليّة في البنية السياسية والاجتماعية التقليدية. وشهد العالم ظواهر سائلة لم يكن بوسعنا تصنيفها أو تلمّس مغزاها، فثمة تغيّرات مناخية مُقلقة، وتكنولوجيا قوّضت كلّ شيء وأفسدته، وعودة إلى الهويات الضيقة. ويبدو أنّ مفاسل الحياة أصبحت في حالة مستمرة من التغيّر؛ فلا شيء يمكن الوثوق به. وكل ما يمكن توصيفه طبيعياً صار يتلاشى بعيداً أمام ناظرنا، وغدونا نعيش في عالم اللامعقول واللاحقية.

تحاول نظرية الأزمة ما بعد الطبيعة أن تفسّر غموض العالم المتغير بصورة متسارعة، إذ أصبح اللابقيّن السّمة المهيمنة، وصار الجهل منتشرًا وذا قيمة.

إن كتاب ظاهرة الأزمة ما بعد الطبيعة هو بمثابة أنطولوجيا من الكتابات النقدية الرائدة عن الطبيعة المتناقضة والمعقدة والفوضوية لهذه الحقبة التي نشهدها. وتتضمن هذه المقالات النقدية الأصول، والنظرية والمنهجيات المتعلقة بالأزمة ما بعد الطبيعة؛ وتحاول سبر أغوار مجموعة من القضايا، مثل: التغيّر المناخي، والحوكمة، والشرق الأوسط، والدين والعلم من وجهة نظر الأزمة ما بعد الطبيعة. وتحاول هذه المقالات النقدية رسم آفاق فكرية وعملية للخروج من نفق هذه الأزمة، متمثلة الخطاب الإنساني في رسم معالم هذا الانعتاق.

